الكتاب الثالث والسبعون

مصادر الكتاب المقدس

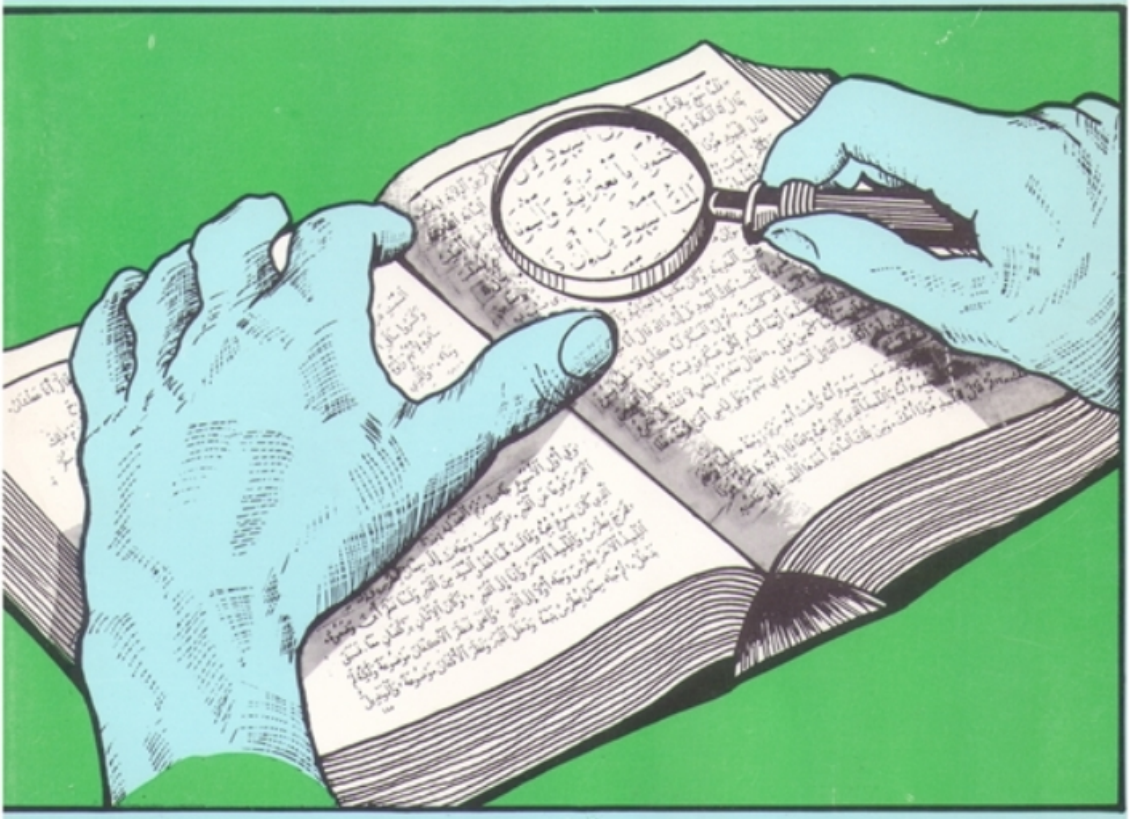

القس صموئيل مشرقي

الكتاب الثالث والسبعون

مصـــادر
الكتاب المقدس

بحث فى أصول الكتاب وبيان حقيقة مصادره
SOURCES OF THE HOLY BIBLE

بقلـــم

القس صموئيل مشرقى

رئيس المجمع العام لكنائس الله الخمسينية

صدر من الكنيسة المركزية بشارع أحمد باشا كمال رقم ٨
بجزيرة بدران ــ شبرا ــ القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون : ٧٧٥٦٧٦

تمهيـــــد

أيها القارىء العزيز :

إذ نقدم لك هذا الكتاب ـــ وهو الأول من نوعه فى اللغة العربية ـــ ونستودعه بين يديك إنما يعنينا أن نخبرك بأن الدافع الأساسى فى إصداره هو إقرار وحى الكتاب المقدس والإعتراف أيضاً بالعناية الإلهية التى حفظته حفظاً عجيباً على مر العصور ، وكذلك لتفنيد الاعتراضات التى وجهتها إليه مؤخراً المدارس العصرية التى لم تقف آراؤها عند حد نقد نصوصه بل تجرأت فيما أسمته « النقد الأعلى » فى تطبيق النقد على تاريخ الأسفار المقدسة وصحة نسبتها إلى كاتبيها والغرض منها .

ولم تقف هذه الدراسات النقدية عند حدود مشروعة – كنقد النصوص لإدراك المعنى الحقيقى لكلمات الكتاب المقدس كما فعل أوريجانوس فى زمانه وأقطاب الإصلاح فى عصرهم ـــ بل تعدتها إلى أبحاث فى أصول الكتاب المقدس تناولتها نقداً وتحليلا حتى ادعى الكثيرون من الباحثين بتمكنهم من إرجاع كل قطرة فيه إلى نبعها الأصلى ، وقد أدى ذلك إلى تعاملهم مع الأسفار المقدسة بتحيز سابق وشكوك مريبة ، فما أكثر ما استقرت انتقاداتهم على نظريات فرضية استقرائية مزعزعة خالفت فيها طريقة البحث الأثرى الدقيق الذى يستقر على حقائق واقعية أكيدة ، وهى تلك التى ينقل عنها بعض الكتاب المعاصرين ممن يرون فيها اتفاقا مع وجهة نظرهم .

على أننا فى مواجهتنا لهذه الكتابات لا نقر قولهم بأنه لو كان الكتاب المقدس كلمة الله ما فكر النقاد فى تناوله بالنقد ، لأن الذين قاموا بنقده على النحو الذى أشرنا اليه اعتبروه كأى كتاب آخر واجب الإخضاع للبحث العلمى الذى يقره العقل البشرى بدعوى أن الكتاب المقدس وإن كان كتاب الله ، ولكنه من جهة أخرى ككتاب يجب دراسته لا عقائديا فقط بل وعلميا أيضاً وهذا هو مجال النقد الحديث فى عرفهم .

وإن كان موقفهم هذا يدفعنا إلى أن نبحث كتابنا المقدس تاريخا ودراسة وتحليلا ، إلا أن قراءتنا له بعد كل هذا ستظل كما هى بروح التعبد والخشوع باعتباره كتاب الحق الموحى به من الله !

المؤلف

تقديم الطبعة الثانية

هذه هى الطبعة الثانية التى دعت الضرورة القصوى اليها بعد مرور ما يقرب من عشرين عاما على طبعته الأولى التى كانت قد أقرتها كلية الآداب بالجامعة قسم اللغات الشرقية كمرجع أوجبت دراسته على طلاب هذا القسم ، وإذ قد نفذت جميع النسخ المطبوعة منه وازدادت هجمات النقد الغربى للكتاب المقدس وكذلك دعوى تحريفه فى الشرق وموقفهما الباطل منه مما جعل الحاجة إليه أشد لأبناء هذا الجيل الذى يقترب بسرعة متناهية الى ختام القرن العشرين ... نستودعه من قبل الله رب العالمين ليكون منارة هادية فى عصرنا الحاضر لمن يرغبون الاستضاءة بنوره ... وقد تم البدء فى إعادة طبعه فى الثالث من مارس عام ١٩٩٠ .

المؤلف

البـــاب الأول

تعريف بالكتـاب المقـدس

الكتاب المقدس هو مجموع الأسفار الإلهية التى أعلن الله فيها ذاته للبشر وهو يحتوى على جزأين أساسيين هما العهد القديم والعهد الجديد .

ويعتبر العهد القديم كتاب اليهودية المقدس ونقطة الانطلاق فيه هى أسفار موسى الخمسة ، كما تعتبر الأناجيل الأربعة نقطة الانطلاق بالنسبة لكتب العهد الجديد .

وواضح من العهد الجديد أن الكنيسة الأولى كانت تتخذ من العهد القديم كتابها المقدس : كان هذا هو موقف يسوع والرسل وبقية الكنيسة . ولكن مع ذلك ، كانت هناك نواة العهد الجديد قد زُرعت ونبتت ، فأقوال الرب يسوع كان لها نفس قدسية العهد القديم بل وأكثر من ذلك ففى بعض كتب العهد الجديد نفسه يظهر هذا الموقف كشهادة الرسول بطرس لكتابات الرسول بولس التى تضعها فى صف واحد مع باقى الكتب – أى كتب العهد القديم – وقد بقى الأمر كذلك إلى القرن الثانى الذى تم فيه تجميع كتب العهد الجديد ، و بدأ الآباء يقتبسونها على أنها كتب مقدسة دون أن يغفلوا اتخاذ العهد القديم مقياساً أساسياً لها فكانوا يقيسونها عليه ويقبلونها على أساس اتفاقها معه . وهكذا شق العهد الجديد خلال القرن الثانى

طريقه للوقوف فى صف العهد القديم ككتب مقدسة . وبذلك ترابط العهدان – القديم والجديد – ترابطاً وثيقاً جعل منهما فى الحقيقة كتاباً واحداً لا ينفصل متدرجاً فى الإعلان ومتنوعاً فى طرق الوحى ، وإذ قد اكتملت كتب العهدين ، سرعان ما أصبحت ذات سلطان حاسم و لم يعد أحد يشك فى قانونية أى منها ، وقد أطلق عليها لقب القانون الإلهى :

« الكتاب المقدس – كلمة الله »

وهكذا قبلت المسيحية أسفار العهد القديم بناء على شهادة الكنيسة اليهودية وشهادة المسيح ورسله ، وأما أسفار العهد الجديد فقد تم قبولها بناء على أنها مكتوبة بواسطة الرسل أو رفقائهم ممن كان لهم الوحى ، وقد قاموا بكتابتها إما بخط يدهم أو بإملائهم لها على أيدى كتبة مذكورة أسماؤهم فى نهايتها .

وتعتبر النسخ الأصلية التى خرجت من أيدى كتبة الوحى معصومة تماماً ولها سلطان إلهى ، وكذلك كل نسخة محفوظة كانت أو مطبوعة حال كونها مطابقة الأصل !

وكان من غير المنتظر بالطبع العثور على النسخ الأصلية لمضى أزمنة سحيقة على وقت كتابتها مما جعلها تندثر بمرور الزمن وبعضها قد استُهلك من كثرة الإستعمال أو طوحت به السنون فى زوايا النسيان ، وبعضها قد أفسد عمداً أو أهلك عرضاً وبعضها ضاع واختفى فى فترات الاضطهاد ، هذا كله بالإضافة إلى ما تطلّبه وضع العهد القديم

من زمن قد امتد إلى نحو ألف عام كما أنّ جَمْعه قد استغرق قروناً عديدة من سنة ١١٠٠ إلى سنة ٢٠٠ ق .م ، وهكذا نجد ألف سنة قد مضت بين أقدم مخطوطة عبرية وبين تاريخ كتابة آخر سفر من أسفار العهد القديم ، وحوالى ألف سنة أخرى بين وقت جمع أسفار العهد القديم معاً وبين تدوين آخر سفر من أسفار الكتاب المقدس ، **فكأن فترة ألفين من السنين قد مضت بين أول كتابة جامعة لأسفار الكتاب المقدس وبين أول مخطوطة عبرية لأسفاره الأولى وليس هذا بالشئ الهين إطلاقاً .**

ولقد سارت عملية النقل بالنسخ خلال هذه المدة المستطيلة ، والغريب هنا هو قلة الفوارق بين النسخ المنقولة لا بل اتفاقها بصورة مدهشة تؤكد عدم المساس بجوهر النص ، ويقول الثقاة بشأن عملية النسخ نفسها بأنها كانت تتم بمنتهى الدقة لأن اليهود ــ كحُماة غيورين على حرفية العهد القديم إذ اعتبروا أسفاره وثائق موحى بها ــ كانت عنايتهم شديدة فى كتابتها وهى التى صانت النُسخ المخطوطة من الخطأ إلى حد كبير . ومع أن النساخ بدرت منهم بعض الأخطاء فى النقل سهواً من قلم الناسخ أو بسبب تشابه بعض الحروف العبرية إلا أن كل هذه الأخطاء قد اكتُشفت وصُححت بكل سهولة لأن كل صفحة كانت تقارن بالأصل عمودياً وأفقياً ، وتعد الكلمات والحروف لضبط أى خطأ وكأن النسخة المنقولة صورة فوتوغرافية للأصل ، وبذلك كان يتأكد الناسخ العبرى من سلامة مخطوطته ، فكان إذا ما اكتُشفت غلطة واحدة فى نسخة ما تعدم تلك النسخة مهما كانت قد كلفت .

أما عن العهد الجديد فلم يكن الاعتماد فيه على نسخة مخطوطة واحدة بل على جميع النسخ القديمة ـــ وقد قوبل بين المئات منها ـــ وبين ترجماتها وكتابات الآباء الأمر الذى حقق عدم وجود أى خلاف أو تعارض لا بين هذه الترجمات والأصل ولا بين بعضها البعض ، ولقد كان لقوانين المقابلة هذا اعتبار عظيم إذ تم بها الإقتراب المتزايد إلى المتن الأصلى ! وقد عُرف نساخ العهد الجديد بالدقة التامة واشتهروا بالأمانة الصارمة التى تميز بها نساخ العهد القديم ، فلم يحدث لكتاب فى التاريخ اعتنى ناسخوه فى نسخه بدقة صارت مضرب الأمثال مثل الكتاب المقدس بعهديه ، مما يؤكد بأن الأسفار الإلهية مازالت إلى اليوم على صحتها ونزاهتها لم يلحقها من التغيير ما يمس معناها فى شىء رغم تداول أيدى النساخ لها قروناً عديدة متوالية !

ويقرر دوازين أسقف نانت فى كتابه « الأدلة الإنجيلية » بأن آباء الكنيسة قد نقلوا فى كتاباتهم العهد الجديد من أوله إلى آخره ليس فقط المعانى بل والألفاظ حتى لو فرض أن أسفاره فُقدت بغتة لأمكن جمعها وإعادتها من الشواهد المتفرقة فى كتبهم ، ثم إنا إذا قابلنا بين النصوص التى نقلها أولئك الكتاب من أوائل عهد الكنيسة والنصوص التى بين أيدينا اليوم لا نجد بين الجانبين أدنى فرق وبالتالى فإن نسخ الأسفار المقدسة التى وصلت إلينا بعد هذا الأمد المديد هى عين النسخ التى كانت فى ذلك العهد !

ننتقل بعد هذا إلى تعريف أشهر اسمين وُصف بهما جزءا الكتاب المقدس وهما التوراة والإنجيل :

فما هى التوراة ؟ وما هو الإنجيل ؟ أهما الكتاب الذى أنزله الله منذ ثلاثة آلاف سنة أولاً على موسى كليمه ثم على أنبياء العهد القديم ورسل العهد الجديد !؟ أم تراهما ــ كما يتراءى لبعض النقاد العصريين ــ مجرد خليط من كلمات تلمع كفصوص الماس وسط دشت كثيف من صفحات مليئة بالقصص والتاريخ !! وكيف يتسنى لنا أن نقرر موقفاً سليما بالنسبة لهذين الرأيين المتناقضين اللذين لا تقف أهمية البت بينهما عند حد !؟

لاشك أن وضع هذا الكتاب تحت نطاق البحث والتحليل كأى كتاب آخر ــ الأمر الذى قررته لنفسها المدارس النقدية العصرية ــ إنما هو تجربة جديدة تتحدى المصدر الإلهى لهذا الكتاب فتحاول نفى صدوره عن الله ، ناسبة إياه للبشر لحتمية وصوله إلينا عن طريق كتبة ، هم بشر اختارهم الله وألهمهم فى كتابته بالوحى المعصوم ، فشككت العصرية فيهم وفتحت الباب للبحث عن حقيقة شخصياتهم ومن هم الكتبة الحقيقيون فتصدى لهم بعض المدافعين وأنكروا هذا النوع من البحث تماماً ووجهة نظرهم فى ذلك أنه لا عبرة بمن يكون كاتب هذا السفر أو ذاك باعتبار أن الكاتب الحقيقى هو الروح القدس نفسه !

وبداهة إن هذا الموقف الذى ارتأته العصرية بوضعها « العقل فوق الوحى » واضح البطلان إذ إنه ليس بمقدور العقل الإحاطة بمعلنات الوحى ولا اكتشافها من تلقاء ذاته ، فضلا عن أن هذا الادعاء ينقض نفسه لما تحتويه هذه المعلنات عن الله والخليقة وأسرار الكون والعناية والسقوط والفداء ، وسائر الحقائق الأخرى التى

تشتمل عليها وهى تغطى فترة هائلة فيما بين فجر التاريخ ونهاية الزمن ، وكلها تشهد لحقيقة مصدرها الإلهى وهى مما ينفرد به الكتاب المقدس بلا مثيل له فى ذلك مما يقدم أعظم اقتناع بأنه « كلمة الله » ذات الفاعلية المطلقة فى القلوب والضمائر !

• • •

ويلزمنا هنا بناء على ذلك أن نبَّين حقيقة « المعنى الأصلى » لكل من التوراة والإنجيل ، وذلك لما دار حول معناهما من مناقشات :

فما هى التوراة ؟ وكيف دونت أسفارها إلى أن تم جمعها وتقدست ؟

هناك من يرى أن « التوراة » هى مجموع التعاليم والوصايا والشرائع والألواح التى نزلت على موسى وتضمنتها أسفاره الخمسة ، ويستند أصحاب هذا الرأى إلى القول بأن التوراة كلمة عبرية تعنى ــ الشريعة ــ أو « الناموس » ونظراً لنسبتهما إلى موسى المشترع الأول فقد تصوروا أن هذه الكلمة قد وضعت فى الأصل لأسفاره دون سواها من كتب العهد القديم ، وخاصة وأن اليهود قد وضعوها فى المنزلة الأولى بين الأسفار الإلهية بل أن السامريين لم يقبلوا سواها بحجة أن ما عداها إنما هو أسفار تاريخية تروى أحداثاً وقعت بعد موسى لمئات السنين ولا يد لموسى فيها ولا يجوز ضمها للكتاب المقدس !

ولكن غيرهم يرى أن « التوراة » إسم يُطلق على كل أسفار العهد

أما كتابة العهد الجديد باليونانية فيحمل دلالة أخرى وهى أن الله سلّم حقه للامم بعد أن رفضت أمة اليهود « المسيح » فضلا عن أن هذه اللغة بقدرتها على نقل الافكار المتنوعة وبدقتها ومرونتها وغزارتها أحسن وسيلة لتبليغ الوحى الالهى فى العهد الجديد .

قد حققت الاكتشافات صدق تاريخ لوقا فى وصفه لرحلات بولس وكل حادثة فى سفر الأعمال وجدت مطابقة لحالة البيئة فى ذلك الوقت كالولاة والحكام والسحرة والعرافين ، وتنوع الحياة والإجراءات الرسمية بحسب القانون الرومانى ، مما يثبت فى النهاية أن سبب تعنت النقاد إنما يرجع بطبيعة الحال إلى عدم اعتقادهم فى القوة الفائقة الطبيعة فى التاريخ والتى تهيمن عليه وهى صادقة فيما كتبته عنه فى الكتاب المقدس مما تثبت الاكتشافات صحته تباعا .

الباب السادس
فحص المقابلات الأدبية

إننا قد نجد فى أسفار العهد القديم آيات أو أناشيد (أغانى وقصائد) وأمثالا وروايات فى أماكن متفرقة منه لأن الشعر كان منذ البدء الوسيلة الأولى للتعبير الدينى العاطفى ـــ ولم يشذ الأدب العبرى عن هذه القاعدة فمثلا فى تكوين ٤ تقابلنا « أنشودة لامك » وهى من أصداء الماضى التى ضُمت بمعرفة كاتب التكوين كعينة لأمثلة عديدة مماثلة ، وكانت هذه المقطوعات حية معروفة فى زمانها ـ لكنها أمست من مخلفات الماضى ـــ مثل شريعة الغيرة (العدد : ٥) و « أغنية دبورة » (قضاة : ٥) و « نشيد حنة » (صموئيل الأول : ٢) و « مرثاة داود » لشاول ويوناثان (٢ صم ١ : ١٩) ورثائه لابنير » (٢ صم ٢٢) وكلماته الأخيرة (٢ صم ٢٣ : ١–٧) وأيضا سفر المرائى (٢ أخبار ٣٥ : ٢٥)

ومن هذه الأناشيد ما هو بالغ فى الإيجاز « كإنشودة البئر » (العدد ٢١ : ١٧ و ١٨) وأغلب الظن أن الذين ترنموا بهذا النشيد اعتقدوا أن البئر يسكنها « روح » هو الذى يفجّر منها الماء ـــ وقد آمن البشر فى عصورهم البدائية بالينابيع المقدسة ، ولعل نشيد البئر هذا كان فى الأصل مظهراً من مظاهر هذه العقيدة ! ومثل هذه الأنشودة إشارة يشوع للشمس والقمر (يش ١٠ : ١٢ و ١٣)

وهناك أيضا نشيد « قطف العنب » ــ لا تهلكه لأن فيه بركة (اش ٦٥ : ٨) ــ ولعل هذه العبارة كانت اقتباسا من نشيد قديم فى وقت قطاف الكروم وهو يذكرنا بالأغانى الشعبية والمدائح التى ينشدها المغنون المسيحيون .

وقد أطلق فى سفر العدد (٢١ : ٢٧) على أولئك المنشدين فى الأيام الأولى « أصحاب الأمثال » ــ ويبدو أن النشيد الوارد هنا فى هذا الموضع يصف حربا هزمت فيها بلاد موآب ــ ولسنا ندرى أية معركة بعينها ــ وقد عرف لذلك « نشيد حرب موآب » .

ومن هذه الأناشيد ما هو أشعار مسهبة وأكثر براعة واستنباطا مثل « أنشودة النصر » لموسى ومريم عند عبور البحر الأحمر (خروج ١٥) أو « أنشودة انتصار دبورة » على قوات سيسرا (قضاة ٥) ويكمن جمال هذه المقطوعات فى أسلوبها غير المتكلف وتعبيراتها التلقائية الحرة .

• • •

ولنا مثال من نصوص الكتاب المقدس : فى أشعار الفينيقيين القصصية القديمة فقد وُجد انها تحوى عبارات تشبه تماما آيات الكتاب غير أنها تتحدث عن « البعل » إله الفينيقيين ، فى حين تتحدث الثانية عن « يهوه » إله العبرانيين وقد كتبت هذه فى زمن دخول العبرانيين أرض كنعان بعد خروجهم من مصر ، ولابد أن هذه القصائد كانت سماعية ويرجع تاريخها إلى عصر مبكر كان الشعب ينشدها أو يردّدها ، وتناقلتها الأجيال عن طريق السماع ..

والتماثل بينها وبين آيات الكتاب المقدس إنما يدل على أن شعوب الشرق الأدنى قد تأثر بعضها ببعض ولا يحتم بالضرورة نقل آيات الكتاب المشار إليها فى تلك القصائد من الشعر القصصى الفينيقى ـــ ويرجع هذا التأثر إلى تشابه الأغصان الأولى فى الديانة العبرية بعض الشيء مع أغصان الديانات الأخرى القديمة مثل السومرية والكنعانية والمصرية ـــ ولكن أغصان العبرانيين قد ارتفعت وتأصلت وامتدت أغصانها العليا وأزهرت ثمارها لتتغذى بالدفء والنور المنبعثين من الحق الأزلى الذى يتزايد على مر الأيام تألقاً وإشراقاً .

• • •

فى هذا القسم الشعرى من الكتاب المقدس نستنشق جواً مختلفا فهو ليس إعلانا ولا تاريخا ولا نبوة إنما هو تسجيلات الاختبارات المتنوعة ، وفى حالات كثيرة لا يكون ما هو مسجل فيها متفقا مع الحق ولا هو يمثل بصدق صفات الله . فأقوال أصحاب أيوب مثلا لم تكن هى الصواب فى الله وكذا اختبارات الجامعة وشكاوى آساف فى مزمور ٧٣ لأنه بعد ما وصف حالته أو موقفه العقلى فى الأعداد ٣ ـــ ١٤ يخبرنا أن أفكاره وكلماته هى لشخص بليد جاهل قد صار كبهيم أمام الله .. ويبدو تقديرنا لهذه الاختبارات من قيمتها الروحية فى التعبير عن هذه الاحوال والطوارىء ـــ فالمزامير تسمو إلى غيبيات الشركة فى الشوق العاطفى الشديد لله ثم تغطس فى وهدات من اليأس حتى حينما تكون متعلقة بكلتا يديها بالإله الحى . إن خدمة

الروح الخاصة هنا تظهر فى أن هذه الكتب الثمينة لا تزال تخدمنا كوسائل تعبير عما يختلج فى الصدور فى كافة الاجواء ! ولقد كتبت هذه الاسفار فى الأصل العبرى شعراً وهى ذات معان دينية تحمل تعاليم خاصة فيها جواهر الآداب والحكم فأيوب مثلا يمتاز بالتهذيب والمزامير بالتعبد ، والأمثال بالحكمة ، والجامعة بالتقدم ، والنشيد بالخبرة وهى فريدة فى نوعها حتى إن وجدت لبعض مقاطع منها متشابهات فى الأدب الفرعونى القديم ــ وهذا ليس بغريب لارتباطه بعلم الانسان العام وإمكانية أن تكون هناك شهادة باقية لله فى سائر الفلسفات والديانات القديمة كأثر لانعكاس نور الحق الإلهى الأصلى على عقول وضمائر البشر فإن لله شهودا فى كل مكان حتى الفلاسفة اليونانيين الذين اقتبسوا من العهد القديم . ولذلك فإن لمخطوطات أدب الحكمة قرابة لما وُجد بين الشعوب الأخرى كالاغريق مثلا ونحن نسميها ــ وخاصة أيوب والأمثال والجامعة ــ بالتخصص الفلسفى الذى يتجه نحو إدراك صائب لحكمة من نوع قوى ، ولا شك أن الكثير من هذه الحِكَمَ قديم العهد جداً وقد ضُمَّت معا على مر السنين المتلاحقة !

• • •

ويبدأ هذا القسم بسفر « **أيوب** » ويزعم بعضهم أنه كتاب شعرى فحسب لا صلة له بالحقيقة أو الواقع ، فى حين يرى البعض الآخر أنه رواية حقيقية عن شخص يسمى بهذا الاسم وله دراية بالثقافة اليونانية وذلك بحسب رأيهم من تسمية ابنته الثالثه باسم يونانى ! واختلف النقاد لذلك من جهته فلم يقطعوا برأى عما إذا

كان تاريخيا واقعيا أم قصة تمثيلية ولكن قصته نفسها تؤكد كونه شخصية تاريخية ويؤيد ذلك الاشارة إليه كشخص حقيقى فى حزقيال ١٤ : ١٤ ، ولا ندرى متى كُتب هذا السفر ولكن يبدو أن القصة قديمة العهد يرجع تاريخها إلى ما قبل السبى لأن النبى حزقيال فى الموضع الذى أشرنا إليه يذكره مع نوح ودانيال ، وقد وضعته نسخة الكتاب المقدس السريانية بين التثنية ويشوع ، وينسبه البعض لموسى ، والبعض لسليمان على أن الإجماع يتجه إلى أن كاتبه هو أيوب نفسه ويرى البعض أنه بعينه يوباب اليقطانى الوارد ذكره فى تكوين ١٠ : ٢٨ والمرجح أنه كان معاصراً لعصر الآباء لعدم ورود ذكر الناموس أو إسرائيل فيه كما أن اسم « القدير » الذى أُعلن لابراهيم كان معروفا عند أيوب ـــ وواضح ما لهذا السفر من قيمة عظمى وغرض فريد بين بقية أسفار الكتاب المقدس فى بحث مشكلة الألم ـــ ومن غير الله يستطيع أن يعطينا سفراً كهذا !؟

ويلى هذا السفر سفر « **المزامير** » وهو قلب الكتاب المقدس النابض إنه سفر الاختبارات البشرية مصاغة بالوحى بواسطة كُتّاب عديدين على رأسهم داود وسليمان ويتضمن ترنيمات المصاعد التى كانوا يترنمون بها عند الرجوع من سبى بابل . والكثير من هذه المزامير كان فى الأصل مجرد أناشيد استخدمها المرتلون كتعبير عن العبادة استُخدمت عند إقامتها فى « الهيكل الثانى » الذى بنى بعد السبى وتقدست بذلك فيما بعد والكلمة « مزامير » من لسان المزمار وهو آلة الصوت فى الحنجرة ، ومعناها أغنية الحمد : تتلى فى مواعيد معينة كل يوم ، وفى المناسبات والأعياد وبالتناوب ، وبعضها يشبه القصائد

الأولى القديمة التى نظمها الكُتّاب وبعضها يرجع إلى ما بعد السبى ، على أن قيمتها الروحية لا تُنكر حتى وُصفت بكتاب الاختبارات فى الشئون الروحية وهى ذخيرة البشرية على مدى العصور ــ إنها مجموع ترنيمات وأناشيد وقصائد وتسابيح وأغانى مقدسة مكتوبة بوحى من الله يعبَّر بها عن أشواق وعواطف دينية نظمت لكى يُرنَّم بها وقت العبادة فهى كنز لا يفرغ . أما ترتيب المزامير على النسق الحاضر فينسبه البعض إلى عزرا .

ومن ثم فإنه لا يمكننا تحديد الزمن الذى كُتبت فيه . وواضح أن بعضها يرجع إلى عصر الملكية لأن للملك ذِكْراً فيها وبعضها يرجع إلى زمن السبى ، وبعضها إلى ما بعد السبى كالتى وضعت أيام نحميا عند الرجوع منه وهى مزامير ١٠٦ ، ١١٨ ، ١٣٦ ولذلك فإن كل مزمور منها يحتاج إلى دراسة خاصة لإمكان تحديد زمنه والظروف التى وضع فيها !

وأما الادعاء بأن مزامير داود أخذت الكثير من نشيد اخناتون كما يزعم برستد فى كتابه « فجر الضمير » حيث أشار كثير من العلماء إلى التشابه الظاهرى بين ترنيمة إخناتون للاله آتون والمزمور المئة والرابع ولكن يمكن أن يُعزى أى تشابه إن وجد إلى تشابه الموضوع الذى يتحدث عن الخلق والعناية فلا يمكن أن نثبت من هذا أن هناك علاقة أدبية بينهما . وفضلا عن ذلك فإن اخناتون قد وجَّه نشيده إلى آتون « رع » الشمس التى اعتبرها الإله الأول وجميع الآلهة الأخرى صوراً ومظاهر له ــ وإذاً فالزعم بأنه مبدع التوحيد فى زمانه إنما هو فكرة مضللة لأنه قد اتجه إلى الجانب الأدبى من

الأوصاف الإلهية دون أن يبلغ مقام الجانب الأعلى الخاص بالإله الواحد القدير !!

أما « **الأمثال** » فهى مجموعة حِكَم مصوغة فى عبارات وجيزة منسوبة لحكماء كان سليمان أشهرهم وهى مناسبة للعلاقات الأرضية منها مبادىء عامة (١ ــ ٩) وأمثال سليمان وتلك التى نقلها رجال حزقيا ملك يهوذا (١٠ ــ ٢٩) وكلام أجور ولموئيل ملك مسا (٣٠ و ٣١) ويعتبر هذا السفر أحاديث متواترة ترجع فى بداءتها إلى عصر سليمان الذى جمع أو وضع نواتها الأصلية الأولى وقد يمتد تاريخها إلى كل فقرات العهد القديم .

وهذه الأقوال الحِكَمية أوحى بها الله ، وإن كانت حكمة الأجيال مترسبة فيها ، وبعض أجزاء منها شبيهة بتعليم (أمون ــ أم ــ أوبى) أمونفيس المصرى التى كتبها حوالى ١١٠٠ ــ ٩٥٠ ق . م . ويبدو التشابه على وجه خاص بين كلمات الحكيم المصرى وسليمان الحكيم فى أمثال ٢٢ : ١٧ ، ٢٤ : ٢٢ ولكن مثل هذا التشابه الطفيف هنا يعتبر عارضا وهو ليس بالغريب ، ليس لإمكانية اشتراك العقول البشرية فى تعبيرات مشتركة عن اختباراتها مع الفارق فيما بين ما ينتقيه الوحى ويصوغه وما يتوقف عند حد الحكمة البشرية ــ بل لأن الوحى لم ير مانعا أحيانا لضرورة المناسبة من أن يشير إلى أقوال أدبية أو شعرية مما هو مشهور بين القوم لفائدتهم كما فعل بولس فى أثينا حيث أورد لهم فى حديثه عبارة يُذكر عنها ــ أن بعض شعرائهم قالها (أع ١٧ : ٢٨) وهو اراتوس وكما وصف الكريتيين فى رسالة تيطس بأنهم دائما كذابون وحوش ردية ؛ بطون بطالة (١ : ١٢)

وهذا القول منسوب لشاعر لهم اسمه ابيمندس الذى عاش حوالى سنة ٦٠٠ ق .م . وكذلك ما ورد فى كورنثوس الأولى ١٥ : ٢٣ منسوب إلى مينندر ولكن بولس لا يكرمهم إلى حد ذكر أسمائهم .

ويأتى بعد الأمثال « **الجامعة** » وواضح من افتتاحيتهما أنهما منسوبان لسليمان بن داود ، ويُظن أنه كتب سفر الجامعة فى أواخر حياته دليلا على توبته وقام بكتابته كفيلسوف باحث لما هو « تحت الشمس » ومعنى لفظة « الجامعة » هو من يجمع الناس بقصد مخاطبتهم أى « الراوية » وكان هذا السفر يقرأ فى عيد المظال .

وتختم الأسفار الشعرية بسفر « **نشيد الأنشاد** » كاتبه سليمان وهو فريد فى نوعه وقد حسبه البعض غزلاً لا يليق بالكتاب ووحيه وقد فاتهم أنه شعر مجازى أو تمثيل للتعبير عن فرط المحبة التى بين المسيح وكنيسته وأيضا لتصوير المحبة الزوجية النقية وإعلان قداسة العلاقة الزوجية كما أراد الله أن تكون من البدء . ولنا عودة لتوضيح ذلك فى الباب التالى .

• • •

أما كتابات الأنبياء فهى ليست أقل من الأهمية وإن كانت تجعلنا فى تماس قريب مع أصحابها أنفسهم وقد لعبوا أدواراً تهز المشاعر فى أحداث يومهم الحضارية والسياسية كما تأملوا فى خطايا شعبهم باحثين بمشاعر قوية فيما هو لخلاص أمتهم عن طريق الثقة الثابتة فى الله .

وكتاباتهم من الناحية الأدبية تعتبر خطبا أو مواعظ واسعة الشعبية من حيث الصيغة فليس من كلام أكثر تأثيرا مما سُجِّل فى الأصحاح الأول من أشعياء أو انذار أرميا اللاذع الذى نادى به فى شوارع أورشليم فى الاصحاح الثانى . وقد أعطى ذلك أهمية كبيرة لموضوعاتهم وبلاغاتهم العجيبة كشفت عن مقدرتهم الفذة التى جعلت من هذه الكتابات نماذج فى مجال الفن الأدبى تجاوزت حدود زمانها وهو كمال أدبى غير محدود لأغلب صنوف الأدب .

بقى أن نقول هنا كلمة عن الأنبياء أنفسهم ويطلق عليهم « أناس الروح » (هو ٩ : ٧) أصغوا إلى الله ثم تكلموا نيابة عنه بقوة منه كانت كثيرا ما تدفعهم وتسوقهم وكانت رسالتهم الأولى منطوقة ثم جُمعت فى أيامهم أو بعدها وكتبت عندما بدىء فى استعمال الكتابة كوسيلة لإيصال الوحى ! وجميع رسالاتهم كانت تأتى إما بالرؤى والأحلام أو وهم فى حال السبات أو الغيبة أحيانا وهى تصحب مظاهر العظمة الإلهية الرهيبة ، وأحيانا تسرى خفية إلى عقولهم بفعل الروح القدس وفى سائر الأحوال كان كل منهم يقول « صارت إلى كلمة الرب » أو « هكذا قال الرب » .

ويقف **أشعياء** النبى الإنجيلى فى قمة الأنبياء وهو من أعظمهم وما ورد فى سفره فى أص ٣٨ متشابه مع الملوك الثانى ١٨ فلا يقطع أيهما كان المصدر وربما نقل الاثنان عن مصدر ثالث هو سجل حُكم حزقيا الملك ، وليس لمثل هذا التشابه تأثير ما على صحة الكتاب المقدس للدرجة التى أوصلت البعض بدون مبرر إلى الطعن على صحة

القديم ، وهم يعتبرونه اصطلاحاً عاماً للعهد القديم إجمالا وأحياناً يطلق على الكتاب المقدس كله ! ويستندون فى ذلك إلى أن « التوراة » لا تنتهى بنهاية موسى لأننا من بعد موته نقرأ فيها وصفاً لكيفية موته ، وهذا يعنى وجود أيد أخرى خلفته فى كتابة التوراة إلى زمان عصر القضاة والملوك ثم السبى والرجوع !

وبالرجوع إلى القاموس العبرى نجد أن معنى كلمة « توراة » وهى من أصل yarah ومعناها « يرمى أو يوجه » وهى تعنى « تعليم أو إرشاد» وهو ما يمكن أن يؤخذ من شخص ما بسبب العمر أو الخبرة أو المعرفة هذا هو المراد بكلمة « التوراة » فى الأصل ، ومن ثم جاز تطبيقها على شريعة موسى كما على أسفار العهد القديم بل وعلى الكتاب المقدس كله !

ونرى أساساً من مفهوم الوحى ليس فقط أن روح الله هو المصدر الحقيقى للكتابات المقدسة بل إن هناك أربع طرق متميزة للوحى فى العهد القديم تقابل أقسامه الرئيسية وهى : الاعلان المباشر بالنسبة لأسفار موسى الخمسة ، والتدوين عن مصادر معينة بالنسبة للأسفار التاريخية ، وتسجيل الاختبارات البشرية فى القالب الأدبى بالنسبة للأسفار الشعرية ، والمنطوقات الإلهامية بالنسبة للأسفار النبوية ؛ وفى هذا نرى تدرج الوحى وتنوعه !

· لقد جاء إعلان الحق تدريجياً بواسطة إعلانات ورؤى وأقوال شفوية وذلك فى عصر الآباء ما بين آدم وموسى حين بدأ « الوحى المكتوب » وهو يفوق بالطبع بما لا يقاس الاعلانات الشفوية التى

وحيه ، وكذلك لن يؤثر فى قيمة سفره الأدعاء بأن نبيا آخر كتب القسم الثانى منه ابتداء من اصحاح ٤٠ لأننا نعرف المصدر الإلهى الذى صدر عنه فلا فرق لدينا سواء أكان هناك كاتب آخر معه ، وسواء عرفناه أو لم نعرفه لأن مثل هذه النظريات لا يوجد رأى قاطع بشأنها ولا تمس وحيه بشىء .

ولربما كان سفر **أرميا** أكثر الأسفار إخبارا واستخداما فنيا للاستعارة اللغوية فى كل الكتاب المقدس ، والمرجح أن كاتبه هو أرميا نفسه وقد أضاف إليه باروخ الاجزاء التى تتعلق بحياة أرميا وحوادثه الشخصية على أن ذلك لا يؤثر بشىء فى حقيقة هذا السفر فإن قيام أرميا نفسه بكتابته أو باملائه لباروخ لن يغير من قيمة السفر فى شىء ، فضلا عن ذلك فإن باروخ هذا كان صديقا ومعاونا لأرميا بل وأمين سره ولعله كان أيضا كاتبا رسميا وخطاطا (٣٦ : ٢٦) .

أما المراثى فقد كتبها أرميا بعد خراب أورشليم والهيكل سنة ٥٨٨ ق . م . وكانت تقرأ فى التاسع من آب ذكرى اليوم الذى تم فيه هذا الحادث .

أما **حزقيال** وقد كان معاصراً لأرمياء ودانيال فهو الذى قام بكتابة سفره وهذا واضح من السفر نفسه وفى هذا السفر أحداث عجيبة ضابطة لا تزال من أغرب الرؤى وحالات التجلى كمركبة العرش التى حملها الكروبيم .

ويعتبر سفر **دانيال** أعظم صورة لكشف القناع عن تاريخ الامبراطوريات منذ استلامهم السلطان إلى انتهائه منهم ، وهو صورة فريدة من النطق النبوى .

وكذلك نسبة باقى الأسفار النبوية للانبياء الذين كتبوها وتحمل أسماءهم وهى تكشف الحق المقصود إعلانه « للفاهمين » فى شكل رموز عجيبة وغريبة ، ولا شك أن لهذه الكتابات النبوية تأثيراً عظيما على المسيحية حيث لا تزال رسالة الإصحاح الثالث والخمسين من نبوة أشعياء تفوق كل ما عداها فى الإيقاع الروحى والعذوبة غير المحدودة ولذلك فإنها قد تعمقت فى قلب الشعب المسيحى وسار على هذا النمط أيضا الإصحاح الأربعون فإنه قصيد بديعة من التعزية كما هو الحال فى أجزاء عديدة من أرميا وما يسمى بالأنبياء الصغار ــ ومنذ أن كان الشعر الوسيلة التعبيرية الطبيعية لقلب الإنسان فإن إنشائيات كهذه لا يمكن أن تقدَّر بثمن فى مجال الوحى المقدَّم عن الأفكار والمشاعر الحقيقية لشعب الله .

• • •

وفى ختام هذه المقابلات الأدبية لا نغفل الإشارة إلى قانون حمورابى المكون من ٢٨٢ بنداً والمعاصر لإبراهيم فإنه يدحض النظرية القائلة بأن ناموس موسى لا يمكن أن يكون قد وضع إلا بعد عصر الأنبياء بحجة أن الكتابة فى عصر موسى لم تكن تستعمل إلا فى الأمور العلمية وبأنه لم يكن ممكنا وضع قانون رسمى قبل عصر الملوك . وقد أثبت اكتشاف ألواح تل العمارنة عدم صحة الركن الأول من هذه النظرية ، كما أن اكتشاف قانون حمورابى يدحض الركن الثانى منها إذ كان هذا القانون موضوعا فى أيام ابراهيم أى قبل موسى بأربعمائة

سنة ، كما كانت فكرة القوانين مألوفة لدى الشعوب السامية منذ أمد بعيد حتى أنه اكتشف مجموعة أخرى من القوانين قد صدرت من ٥٠٠ سنة قبل ذلك التاريخ ــ تاريخ قانون حمورابى ــ بواسطة اركجينا ملك لجيش أى من ٩٠٠ سنة قبل موسى وهذا حطم أقوال النقاد باستحالة وجود شريعة أيام موسى !!

أما الادعاء الآخر بأن موسى قد أخذ شريعته من « قانون حمورابى » فلا يتحتم أن يكون الأمر هكذا وخاصة وإن قوانين حمورابى لا تحتوى إلا على تنظيم المعاملات بين الانسان وأخيه الإنسان وليس فيها أى ذكر لعلاقة الإنسان بالله ــ ولا شك أن قانون حمورابى الشهير يتضمن أعلى ممارسة أدبية واجتماعية للشعوب السامية القديمة وليس الإحتمال بعيداً أن موسى كان على علم به ولذلك فالقانون الذى يرعى العبيد (خروج ٢١ : ١ ــ ١١) يطابق دستور حمورابى وكذلك قانون المثل (خر ٢١ : ٢٤) متشابه معه ، ولكن شريعة موسى تتميز بالاهتمام بحياة الإنسان ومنع التعذيب والإستغلال : فإن الوصية الأولى من الوصايا العشرة تأمر بولاء فائق للرب فى وقت انتشر فيه الشرك بالله والثانية تمنع صنع الصور والسجود لها لأنها تطمس الفكر الحقيقى عن وجود الله بصفة عامة والثالثة تنهى عن عدم الإحترام فى استعمال اسم الله وتشدد ضمنا على الأمانة والوفاء بالعهد والرابعة تأمر بحفظ السبت وكان معروفا عند البابليين والخامسة تأمر بإحترام الوالدين لحفظ واستقرار الأسرة ، والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة وضعت القواعد الأساسية للأخلاق الإجتماعية كقانون أبدى (منع القتل والزنى

والسرقة وشهادة الزور) والعاشرة تخترق أعماق الإنسان للبحث عن رغائب قلبه ، وليس من دستور أدبى معادل يمكن أن يُقارن بهذا الدستور إطلاقا . وفى تثنية ٤ : ٥ ــ ٨ يعقد موسى مقارنة بين أحكام الله وقوانينه وبين غيرها مبيِّنا ما بينهما من فروق هائلة ــ ومن هنا نفهم أن قوانين حمورابى لم تكن مصدراً لشريعة موسى فلم يأخذ منها ناموسه الذى استلمه فى سيناء وإن وَجد تشابه عارض فى بعض النواحى مما يدل على أن القانون الأدبى كان موجوداً منذ كان للإنسان تاريخ ، ومن ثم فإن الأحكام والمبادىء الإجتماعية كانت لها نظائر بين الشعوب المختلفة إلا أن هناك فوارق شيقة بين شريعة حمورابى وشريعة موسى حتى إنه يمكن القول بصفة عامة أن الأخيرة تعتنى بالأكثر بحماية الأشخاص بينما عنيت الأولى بحماية الممتلكات أى أن واحدة من هذه القوانين وقد ابتدعها عقل إنسان كان يعتبر المال هو كل شىء فى الحياة ، فى حين أن القوانين الأخرى قد أوحى بها الله الذى يعتبر أن حياة كل فرد لها قيمة كبرى لديه ولم يكن لأى أمة أخرى فى تلك الأيام مثل هذه النظرة إلى الحياة لأنها لم تكن معروفة حينئذ كما أن قانون حمورابى قد فرَّق بين معاملة السادة وعامة الشعب لأنه كان قاسيا على العبيد والفقراء والنساء فلم يمنحهم إلا النذر اليسير من الحقوق الإنسانية أما ناموس موسى فقد ساوى بين الجميع وقد أثبت د . جرمس « بأن شريعة حمورابى كانت خالية من البواعث الدينية وأن التعدى أو الخطية لم تكن تحسب هكذا فى حق الله وأنه لا يوجد أى تحَكُّمْ فى الشهوات ولا أى توصية بعدم الأنانية أو حب القريب » ويمكننا أن نشير إلى اختلاف آخر حيوى وهو : « فى حين أن قوانين موسى تدين السحر والخرافات ، فإن أول قانونين فى شريعة

بابل يشيران إلى أعمال السحر على أنها ذات قوة حقيقية فأين مجرد التوافق !!

فمثل هذه الإختلافات الأساسية تثبت بكل تأكيد أصل وسمو شريعة موسى وبالتالى فإن هذه الحيلة من نظريات الانتقاد قد انتهت كسابقاتها بالفشل !!

وأما شريعة الذبائح فلا يمكن أن يكون موسى قد أخذها عن التفكير المصرى القديم لأنه لم يكن يقدّر الدم أو يفهم معنى الذبائح التعويضية وإذاً فلم يكن يوجد فى مصر ما يستحق أن يأخذ منه موسى شريعته لأن مصر لم يكن عندها مثل هذه الشريعة لتعطيها لموسى .. !!

الباب السابع
مواجهة الامتحان الأخلاق

لقد تنوَّعت المواقف تجاه العهد القديم ، فبينما تمسك اليهود بحرفيته وأوجدوا من ذلك سبيلاً لرفعته وتمجيده فإن الغنوسية فَسرته حرفيا بطريقة أخرى قصدت أن تبين بها أنه لا أخلاق وغير لائق ! أما أوريجانوس صاحب نظرية « التفسير الرمزى » فقد رأى أنه مملوء بقصص تعتبر غير أخلاقية ولذلك لا يمكن أن تؤخذ حرفيا بل ذهب إلى القول بأن فيه أوامر سخيفة لا معنى لها مثل الوصية بعدم أكل أنواع من الطيور وبعض الوصايا غير العادلة كقطع نفس الأغرل من الشعب بينما يجب أن تقع العقوبة على والديه .. !

وبالرغم من أن المسيح نفسه قد حدد موقفه من العهد القديم حين أعلن أنه لا يمكن أن ينقض المكتوب « يو ١٠ : ٣٥ » وأن كل ماكتبه الأنبياء عنه لابد أن يتم (لو ١٨ : ٣١ ، ٢٢ : ٣٧) ولو صدقتم موسى لآمنتم بى لأن موسى كتب عنى (يو ٥ : ٤٦) وأيضا قوله : أفما قرأتم فى كتاب موسى (مر ١٢ : ٢٦) و « إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ... (لو ١٦:٣١ وأيضاً ٢٤:٢٧) وكذلك قوله : « ابراهيم تهلل بأن يرى يومى » (يو ٨ : ٥٦) « وداود يدعونى ربا » (مت ٢٢ : ٤٥) مما أثبت به أن سيرة

ابراهيم لم تكن حديث خرافة وأن موسى كان شخصا حقيقيا . بل إنه قد استعمل آيات من العهد القديم وقت تجربته بقوله عند استخدامه لها « مكتوب » وهى الكلمة التى تصف وحى العهد القديم كذلك نجده قد أشار إلى كثير من حوادث العهد القديم مقتبسا إياها كحق وذات سلطان ، منها ما يتعلق بالخليقة وتأسيس الزواج واستشهاد هابيل وحدوث الطوفان ، وهلاك سدوم ، وحديث العلية ورفع الحية النحاسية وابتلاع الحوت ليونان مما يثبت تأكيد المسيح لسلطان العهد القديم فى كل أجزائه ــ إلا أنه مع هذا كله فقد طلع مارسيون الهرطوقى على أهل عصره فى أوائل المسيحية بأن العهد القديم كتاب لا يليق أن يؤمن به المسيحى ، وقد فسَّره تفسيراً حرفيا إلى أقصى حدود الحرفية لكى يُظهر ما فيه من قسوة وفظاظة .. مع أن العهدين هما من وحى الإله الواحد الذى نعبده ... وإنما كان العهد القديم وناموسه لازمين للعصر الذى ظهر فيه إلى أن تقدمت البشرية وبزغ النور الأعظم فى يسوع المسيح الذى جاء بالاعلان الأعمق والأمجد » .

• • •

ولا ينكر أحد بالطبع أن هناك صعوبات بشأن العهد القديم : بعضها تاريخى خاص بالحوادث المسجلة فيه وقد عالجناه فى ضوء الاكتشافات الحفرية المتزايدة التى تحقق إثبات صدقه ، وبعضها عقلى يختص بحقيقة المعجزات مثل ظهور الله فى العليقة وشق البحر الأحمر

وإقامة موتى بواسطة إيليا وأليشع وابتلاع الحوت ليونان ــ على أن قيامة المسيح نفسها هى أعجب معجزة وتحل كل المعجزات الأخرى إذ تحمل فى ذاتها أعظم برهان على صحة باقى المعجزات .

وهناك صعوبات **علمية** وهى التى دفعت البعض إلى الظن بأن قصة الخليقة الواردة فى سفر التكوين غير صحيحة علميا إذ ظنوا عدم إمكانية التوفيق بينها وبين العصور الجيولوجية ونظرية التطور حتى ظهور الإنسان .

على أن أهم صعوبات العهد القديم هى تلك التى تختص بالناحية **الأدبية** فقد يبدو أن هذه قسوة شديدة من جانب الله أن يأمر باهلاك الكنعانيين مثلا أو رجم عخان وعائلته أو قتل صموئيل لأجاج أو موت عزة بسبب لمسه تابوت الله مع أن هذه كلها لم تكن إلا للقضاء على الأوبئة التى يجب أن تفنى وتتلاشى من الأرض ، وكذلك أمره الغريب لحزقيال بأن يجهز خبزه على الشىء النجس فهذا لتمثيل حالة الشعب عندما يأكلون خبزهم النجس فى السبى ، وهكذا أيضا فى موضوع زواج هوشع بأمرأة زنا وذلك لتصوير نوع العلاقة التى ارتضاها الشعب لنفسه بالانفصال عن إلهه .. الخ ، فعن هذه وامثالها يوجد أمران للتأمل :

أولهما ــ إن هذه الأشياء مع كونها غريبة عند أول وهلة فإن هناك صعوبات أعظم منها فى العهد الجديد هى تلك التى تختص بمصير الناس النهائى (مر ٩ : ٤٢ ــ ٤٨) فإذا ما رأينا حقيقة ذلك ورهبته اختفت الصعوبة التى تصور القسوة لأن إله العهد القديم هو نفسه إله العهد الجديد وهو قدوس ومحبة معاً .

وثانيهما ــ ليس فى تلك الدينونات أى شيء اغتصابى بل إننا نجد من ورائها كلها نداءات مستمرة بالرجوع ، فقد بكى صموئيل على شاول العاصى مع كون الله رفضه حينذاك نهائيا من الملك . وقد نجد فى بعض المزامير مواقف قد لا نهضمها ــ ومن المحال هنا تطبيق كل ما فى العهد القديم على أزمنة العهد الجديد ــ ولكنها ترتبط بالدينونة التى أعدَّت لتُعلن وتُنفَّذ فى وقتها . وإنه لمن باب الجرأة بل والخطأ الشنيع أن نعترض على الله قائلين : لماذا فعل هذه الطريقة ؟ ولماذا لم يفعل غيرها ؟ لأنه هو أحكم منا بلا حد ، ويعرف الطريقة التى تؤثر فى القلوب أكثر مما نعرف نحن ، فلو كانت هناك طريقة أكثر تأثيرا لكان أجراها ونفَّذها .

وأما تأسُّف الله فلا يعنى تغيير فكره أو قصده وإنما هو مجرد تعبير بشرى ليس أكثر غرابة من غيره ، فيه يخاطبنا بلغتنا تنازلا منه لضعفاتنا فليس فى قول موسى للرب « يارب اندم » اندفاع غريب يدل على تجاهله لمقام ربه بعد أن رأى خوارق معجزاته ، إذ لا يقصد به التوبة أو تغيير الفكر كما سلف الذكر ، وإنما هو يعنى الاستجابة لتوسلات الإنسان أو إظهار الشعور الإلهى باللغة التى تناسب فهم المخلوق البشرى ولذلك فقد ندم الرب فعلا أى استجاب لتوسلات موسى ! ولذلك فإن الندم هنا ليس على المعنى المألوف لأن الكتاب المقدس يذكِّرنا مرارا حتى عند استعماله كلمة الندامة بأنه لا يراد بها معناها الحرفى بقوله : « ليس الله انسانا فيندم » (العدد ٢٣ : ١٩) .

أما تضليله لأنبياء ــ كما هو مذكور فى سفر حزقيال ــ فإنه لا يُضاد صفاته إذ إنه عقاب على كل من يضع معثرة إثمه أمامه ثم

يسأل النبى فيسمح الله بالضلال قصاصا لكليهما معا أى أنه فى هذه الحالة يترك النبى ليميل بإرادته إلى الضلال !

أما من جهة نسبة الضعف والجهالة لله فى الكتب المقدسة « ١ كو ١ : ٢٥) فلا يقصد به وجودهما فى الله ، حاشا . بل هذا هو ما حسبه غير المؤمنين (اليونانيون) هكذا .. أما صيرورة المسيح لعنة لأجلنا (غل ٣ : ١٣) فقد قضى به الله لأن الذى يفدى الخطاة من حكم اللعنة يحملها هو نفسه فى شخصه عوضا عنهم كما يحمل أيضا الألم والموت مكانهم ..

وليست هذه كلها جملة وتفصيلا مضادة للعقل ، وإن كانت فوق العقل فالادعاء برفضها لأن العقل لا يقبلها ولا يسلَّم بنسبتها لله وأنبيائه باطل لأنه وإن كان البحث لذوى الإمكانية قائما من جهة فحص التعاليم الإلهية كلٌّ على قدر فرصته وإمكانيته ، والمسيحية لا تمنع البحث فى تعاليمها ولاتُلزم أحدا بقبولها دون بحث ــ إلا أن عقولنا يجب أن تقف عند حدها تجاه الأمور الفائقة الادراك لأن عقولنا ليست قياسا لتلك الأمور . ومن ثم فليس لعقولنا القاصرة المحدودة أن تحكم فى الواجب قبوله والواجب رفضه من كلام الله نفسه . لأنه وإن يكن للعقل السليم الحق فى بحث البيِّنات الدالة على وحى الكتاب المقدس وبقائه كما هو بدون تحريف إلا أنه ملتزم أن يقبل كل ما اعلن فيه لا أن يختار منه ما يوافقه ويرفض ما يضاده . نعم ! يجب علينا أن نتأمل بعقولنا فى الأقوال الإلهية لكى تفهم ما هو مراد الله وقصده فى كل كلمة وآية من كتابه ونطلب منه تعالى أن ينير أذهاننا ويرشدنا بروحه لفهم أقواله عالمين أن عقولنا القاصرة

سبقته مع التسليم بصحة هذه الاعلانات ، وهكذا سارت قصة تطور التوراة أولا كاحاديث متواترة تناقلتها الأفواه ثم ضبطها الوحى وهيمن عليها بالاعلان المباشر **لموسى كليم الله** الذى كان استعداده فى تلقى الوحى المباشر ظاهرا من القول : « ودعا الرب موسى وكلمه » ! لهذا ، كان موسى فى علاقة خاصة مع الله وكانت له صلة به أقرب وأوثق من تلك التى كانت لخلفائه حتى دُعى « كليم الله » ووُصف بأنه لم يقم نبى مثله ، لأن الرب عرفه وجهاً لوجه !!

وكان موسى قد أعد حينئذ إعداداً خاصاً لهذه المهمة الفريدة فدعاه الله فى حوالى سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد ليبدأ كتابة الأسفار المقدسة والتى فيها يسجل تاريخ ٢٥٠٠ سنة خلت من قبله ... والإشارة الأولى عن ذلك نجدها فى أول أمر يدونه الكتاب المقدس بتكليف موسى بذلك ونصه : « فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكاراً فى الكتاب (خروج ١٧ : ١٤ ؛ ٢٤ : ٤) ومن بعده نقرأ عن « لوحى الحجر اللذين كُتبت عليهما العشر وصايا بأصبع الله » (خر ٣٢ : ١٦ ، ٣٤ : ١ و ٢٨) وكذلك ما قام بتدوينه عن خيمة الاجتماع فى الجزء الأخير من سفر الخروج كما نقف من سفرى اللاويين والعدد على أن موسى نفسه هو الذى تلقى شريعة الذبائح والتطهير ، كما قام بتسجيل رحلات الشعب ولما أكمل موسى سفره الخامس ــ التثنية ــ الذى يلخص فيه الشريعة ويختم ذلك بخطابه الوداعى ، أمر اللاويين حاملى التابوت أن يأخذوا كتاب التوراة هذا ويضعوه بجانب تابوت عهد الرب ليكون هناك شاهداً وذلك بعد أن أمرهم بنسخ عدة نسخ منها قام بتسليمها للكهنة وشيوخ الشعب

لا تستطيع أن تفهم « أقوال الله » كما أرادها الله بدون معونة الروح القدس ..

ومن المؤكد أن كافة الأمور التى يبحث عنها النقاد ويجعلون منها موضوعاً للطعن لا يمكن لليهود والمسيحيين إضافتها إلى الكتاب المقدس لأنها مهينة لإلههم ولأسلافهم خاصة فيما لو لم تكن قد حدثت بالفعل ..

• • •

ومن ثم فإن الأمور التى يتراءى للبعض رفضها من أسفار التوراة أو الطعن فى صدق وحى التوراة بسببها وهى نسبة الزنا والقتل والسُّكْرُ والكذب والارتداد عن الإيمان وعبادة الأصنام للأنبياء والرسل الكرام مع أن العصمة أول شرط من شروط صدق النبوة ، ومع أن هذه الأمور التى تنسب إليهم تجعل منهم عصبة من الأشرار .. سكيرين ولصوصا وزناة وكذابين ومخادعين وقتله .. الخ وهكذا يحلو للمعترضين أو الناقدين أن يصفوهم بأسلوب التهكم اللاذع بيهوذا النبى الزانى ، ويعقوب النبى السارق وهلم جرًّا والادعاء نتيجة لذلك بأن هذه الأسفار مكتوبة بأيد موتورة تضنُّ حتى على صفوة الصفوة ـــ على بضعة عشر نبيا ـــ فتلطخهم بأسوأ ما يتصف به أرذل الناس .. ولذلك فإن القول بأن الأقلام التى كتبت التوراة هى أقلام لليهود الذين ضرب عليهم السبى فى بابل مع مارافقه من ذلة

وعار ، الأمر الذى دفعهم إلى تلطيخ كل شيء وإلقاء القذر الذى كانوا يعيشون فيه على وجه التاريخ كله إنما هو ادعاء باطل لأنه من جهة عندما يخطىء النبى فالعيب فيه هو شخصيا وليس فى النبوة ، ومن جهة أخرى لو كان الأمر بحسب هذه الادعاءات وما تذهب إليه لكان يحدث العكس تماما فلا تُذكر خطايا هؤلاء الأنبياء ــ وكذلك ما كانت تذكر التوراة الأوصاف والويلات التى ذكرها الله فيها عن اليهود وأوقعها عليهم ولتعمَّدت هذه الأقلام حذفها أو تحريفها ومنها مثلا ما جاء فى لاويين ٢٦ ، حزقيال ٢٢ من عقوبات وأوصاف لم يكن ممكنا أن تبقى فى كتاب كتبته أقلام يهودية « موتورة » لأنها عقوبات موجهة إلى اليهود أنفسهم وأوصاف تعلن عن شرورهم وتمردهم وبعدهم عن إلههم أما ذكر كل ذلك فى التوراة فإنما هو دليل قاطع لصحة كتابتها بالوحى ، وأن الكتبة الملهمين لم يلجأوا إلى تزييف حقائق التاريخ أو إخفائها ، وكل هذا يؤكد وحى أسفار العهد القديم بلا منازع !

وإذاً فإن الأدعاء بأن ذكر هذه الأمور لا يليق بكتاب موحى به من الله أمر باطل ، لأنه من أدلة صدق الكتاب المقدس الأساسية أن يخلع الرداء عن كل شخص يذكره ــ يجرِّده تماما ويقدمه كما يراه الله ! وفى هذا أصدق الدليل على وحى هذا الكتاب الكريم ، فمع أن كتبة الوحى كانوا يهوداً وكتبوا عن أنبيائهم وملوكهم العظام إلا أنهم لم يحاولوا إخفاء عيوب وخطايا ونقصات هؤلاء الملوك والأنبياء كما يفعل بعض المؤرخين المحدثين بل تحدثوا عن تلك الآثام دون تحفُّظ لأنهم كانوا يتحدثون بوحى الروح القدس ، ولذا

فقد ذكر الكتاب المقدس كذب ابراهيم ، وشر لوط ، وزنا داود ، وتدهور سليمان ، لكى يؤكد أن الكمال لله وحده وأن الجميع زاغوا وفسدوا معا فلا نحسب أن وقوع هذه الخطايا من أولئك الأشخاص أمر مستحيل لأننا نعرف أنهم جميعا بشر متناسلون من آدم الساقط ووارثون منه بالتناسل الطبيعة الفاسدة التى تميل للشر (مز ٥١:٥ ، أش ٦٤:٦) ومع ذلك فإن وقوع الخطأ من الأنبياء والرسل لا يجعلنا أن نكون غير واثقين بالأوامر والنواهى الموضوعة منه تعالى بواسطتهم لأن هذه ليست أقوالهم بل هى أقوال الله نفسه (٢ بط ١ : ٢١ ، مت ١٠ : ٢٠) فمن حيث أن ما تكلموا به شفاها وما كتبوه إنما هو من روح الله وليس من أنفسهم ، فأقوالهم لذلك صادقة ومستحقة كل القبول ، لأن الذى أوحى لهم بهذه الأقوال لا يمكن أن يدعهم يكذبون فيها : حاشا وكلا . أما من جهة سلوكهم الشخصى فليس معصوما من الخطأ ــ مع الاختلاف فى تقدير ذلك :

فإن زواج ابراهيم بأخته ابنة أبيه : وعمرام أبى موسى بعمَّته لا يحسب تعديا لأنه لم يكن وقتئذ وصية ناهية عن ذلك لأن التوراة التى منها هذا النهى قد كتبها موسى بعد خروج اليهود من أرض مصر وإتيانهم إلى جبل سيناء ، وحيث ليس ناموس فليس تعد ــ أما عن شرب نوح للخمر فلم يكن هناك نص يُحرِّمه حينئذ ، وقد استحق « نسل حام » اللعنة عند رؤيته عورة أبيه لأنه كان رجلا متزوجا لا طفلا ولم يكن ما بدر منه على سبيل المفاجأة بل ليبيِّن لنا الفرق المنتظر بين الحياء والاستهتار بينه وبين أخويه اللذين سترا عورة أبيهما ورفضا حتى مجرد النظر إليها ــ هذا الرجل إذاً يستحق كل لعنة بل أخلاقه أخلاق عبيد فعلا .

وأما ما صار من لوط بابنته فلا يُحسب خطأ متعمداً لأنه كان بدون شعور أو علم وقبوله الخمر لانه لم يكن هناك شريعة بعد تنهى عن شربها وأيضاً لم يكن عارفاً بالغاية التى من أجلها سقته ابنتاه إياها والقصة إنما تكشف عن تأثير المعاشرات الردية وإفسادها لأخلاق بناته . وبالرغم من أن لوطا هو ابن أخ ابراهيم فقد جاء العقاب بمنع العمونى والموآبى من الدخول فى جماعة الرب إلى الجيل العاشر (تث ٢٣ : ٣) ولو كانت التوراة مكتوبة بأيد بشرية لعملت حسابا وتقديرا لهذه القرابة العظمى !

وأما فيما يختص بيعقوب فلا جريمة ولا تواطؤ فيما فعله مع خاله لابان وإنما هو عدل وحق ، وحتى أخْذه البركة مهما كان أسلوبه فإنما يدل على تقديره للأمور الروحية بالمقابلة مع استهتار عيسوبها .

وكذلك حادثة زنى يهوذا بثامار لم تكن تُحسب لانها قبل الناموس ولم يكن يعلم أنها كنَّته ، والحادثة لا تُذكر موافقا عليها بل لترينا ضعف الإنسان وشرعه فى الحكم على غيره بينما يرتكب هو ذات الفعل ، أما عن النبوة التى وجهها له يعقوب على فراش الموت فهى عن مستقبل السبط عند ظهور ملوك كداود وسليمان وإتيان المسيح منه !

وأما عن الزنا فى بيت داود فإن الله لم يأمر به بل فعله أبشالوم بحريته واختياره وقد سمح الله بحدوث ذلك لأجل تأديب دواد ... ويقيناً إن الله سمح لسليمان أن يجتاز فى الاختبارات التى مرَّ بها ليكون مثالا ناطقا لبطلان المحاولات البشرية فى البحث عن السعادة وقد عاد

فأكَّد أنه لاسعادة إلا فى تقوى الله وحفظ وصاياه . فبالنسبة لداود نجده مجرما وهو ملك ، العدالة البشرية لا تستطيع الوصول إليه ، لكن يد الله تؤدبه وتعاقبه ــ لأن الله لا يستر خطية الكبار ولو كانوا ملوكا . أما سليمان فلم يكن ثمرة زنى لأن ثمرة الزنى قد مات ٢ صم ١٢ : ١٨ فى حين أن سليمان قد وُلد بعد أن أصبحت امرأة أوريا زوجة شرعية لداود ٢ صم ١٢ : ٢٤ ، أما تدهور سليمان فيرينا بطلان ملذات الحياة وأنها قبض الريح ، وقد تصرَّف فى حياته بمحض إرادته ولكنه فى ختام الأمر رجع إلى الصواب وسجل الحقيقة ، فسليمان إذاً لم يمت كافرا ، بل كان انحرافه مجرد سقطة مرَّ بها فى حياته ليكون عبرة للأجيال والقرون !

وهكذا نرى الله لا يزيِّف الحقائق ولا يستر خطايا الأنبياء بل يرينا تأثير الشر حتى على أقدس القديسين ، إنه لا يغطى الشر بل يعلنه ليحذرنا من أخطاء كالتى ارتكبها الذين أشير إليهم ولذلك فإن خطايا الأنبياء المذكورة فى التوراة إنما هى بمثابة« نور أحمر » لتحذيرنا .

ومن أبشع ما قاله البعض بشأن تسليط الله للدَّبَّتين على الأطفال الذين سخروا من أليشع فأكلتا منهم اثنين وأربعين طفلا ٢ مل ٢ : ٣ و ٢٤ إن ذلك يجعل الله ــ سبحانه ــ سفَّاحاً .. ولكن الحادثة ترينا مدى مسئولية الوالدين فى تربية أولادهم وترينا أن الأولاد الذين لم يعلمهم ذووهم الأدب وسمحوا لأنفسهم بالسخرية من نبى الله يستحقون الموت فقد سبق أن قالت الشريعة .

من شتم أباه أو أمه يقتل (خر ٢١ : ١٧) فكم بالحرى من يسخر من نبى الله فى عرض الطريق ؟ ــ فليس هو بالإله السفاح إنما هو الله القدوس الذى يكره الاستهتار وميوعة الأخلاق والانحراف وعدم احترام الصغار للكبار وهى الأمراض التى سادت مجتمعنا الحديث ودمَّرته !

وهذا ولاشك أن مثل هذا الحادث وأمثاله مما قد ورد فى العهد القديم وقد تضمنته أحيانا بعض الأناشيد كترنيمة دبورة لا يناسب العصر المسيحى ولكن لا ينتج عن ذلك أنه ليس بالوحى الكامل بل بالعكس لأن هذه إنما هى فى غاية التناسب مع زمانها ووقتها . إنك لن تجد أحداً من المعترضين على التوراة يدرك شيئا كما يجب من الرسائل المسيحية أو الإنجيل .. وإذاً فتلك المقطوعات كانت مناسبة لعصرها وهى ليست مجرد قطع شعرية قديمة وتعبيرات خشنة كالتى تُنسب إلى البرابرة القدماء لأن هذه غلطة سخيفة تشوِّه روح النبوة !

• • •

بقى أن نختم هذا الفصل بما يدور حول سفر نشيد الأنشاد لمساسه بهذه الناحية الأخلاقية وقد وجدنا هنا من يقول عنه إنه ملحمة شعرية عن الحب والجنس لا نفهم أى علاقة بينها وبين الدين ــ وقائل هذا القول على حق فى كونه لا يفهم ما أُشار إليه وهو فى الواقع لا يفهم ليس فقط هذه المسألة بل وكثيرا غيرها ..

ويعتبر الكاتب العصرى ديورانت هذا السفر فى منزلة الكتابات الغرامية التى تبعث على تهييج الجانب الحيوانى فى الإنسان ، ويظن أنها مجموعة من الأغانى البابلية هى تلك التى تشيد بذكر « عشتوروت » و « تموز » ويعلن كاتب عربى أن ما جاء بسفر نشيد الأنشاد ليس هو غزلا صوفيا أو عذريا ، إنما هو غزل ماجن خليع كغزل أبى ربيعة وبشّار وأبى نواس ! فهل يمكن أن يكون هذا مما تتنزل به السماء كالذى نزل على الأنبياء لدعوة الناس إلى الهدى والرشاد ؟

وينسبه صاحب كتاب « المدخل إلى الكتاب المقدس » إلى زمن متأخر ثم يدَّعى بأن الكاتب غير معروف مناقضا بذلك أول فقرة يبدأ بها وهى « نشيد الأنشاد الذى لسليمان » وارتباطه باسم سليمان هو أساس قانونيته .

والواقع أن نشيد الأنشاد هو ذروة ما كتبه سليمان من نشائد بلغت الألف وهو سفر قانونى لم يوضع اعتباطا وإنما لوصف اختبارات روحية صوفية سامية ولذلك كان يستعمله اليهود فى اليوم الثامن من عيد الفصح لأنهم اعتبروه استعارة عن علاقة الرب بالشعب كعريس وعروس ، وكانوا يعلنون أن من يستعمله فى حفلات الخمر ويستخدمه فى المجون لا نصيب له فى العالم الآتى ، ولم يكن يُسمح لأحد قبل الثلاثين بقراءته ، وقد اعتبرته المسيحية فيما بعد وصفا رمزيا وتشبيها بديعا لشخص المسيح كالعريس الذى ظهر فيه الكمال والجمال ، وبنفس الاسلوب الشعرى توصف العروس ، وإن كان يقال بأن سليمان كتبه بمناسبة زواجه من ابنة فرعون الأميرة السمراء

التى بنى لها سليمان قصرا حتى لا يضايقها أو يعايرها أحد .. إلا أنه فى الواقع إعلان للعلاقة التى بين المسيح والكنيسة ، ويقول سكوفيلد هنا : « إن العقل غير الروحى يجد فى هذا السفر أرضا سرية خفية لا يعرف كيف يجوس خلال دروبها بينما وجد القديسون المكرسون للرب خلال العصور فى هذا السفر نبعاً لا ينضب من المسرة النقية . وهكذا يجد الذهن الروحى طعاما دسما فى هذا السفر وأما الإنسان الطبيعى فليس له الحق أن ينقد سفراً لا يفهمه ولا يدرك مقدار العمق الذى فيه ــ فإن كل شىء طاهر للطاهرين ــ فضلا عن أن هذا السفر هو بمثابة مخدع العروسين فى الكتاب المقدس ، وليس من حق أحد أن يسترقَّ السمع إليهما فإن استرقاق السمع فى مثل هذه الحالة تدهور أخلاقى وانحطاط فى التصرف لا يليق بالمهذَّبين .

ومن ثم فلا إثارة للدوافع الحيوانية ولا للغزل الشهوانى وإنما حديث جميل عذب فى مخدع عروسين يحب كل منهما الآخر ويتغنى بهذا الحب . إن المؤمن أمام أعمق وأجمل سفر ، أما غير المتجدد فلا يجوز أن يقترب إليه ــ فليس من الشرف أو التهذيب الصحيح أن تقرأ خطاباً ليس لك يحوى فى ثنايا عباراته أرقَّ وأجمل كلمات يتهامس بها عروسان !

• • •

أما عن النساء الأربع المذكورات فى سلسلة نسب المسيح ، وقد استقبح الناقدون ذكرهن فى هذه السلسلة وهن غير منزهات عن الخطأ ، فى حين أن لا موجب لموقف كهذا وذلك للأسباب الآتية :

أولاً : تذليل كبرياء اليهود المتوهمين إنهم أرقى طبقات البشر .

ثانيـاً : لأن الله يختار الأبناء دون الشرفاء لكى لا يفتخر أحد أمامه .

ثالثـاً : لأن ذوى القلوب اللينة بالتوبة لا تحول سقطاتهم دون نيل رضى الله .

رابعـاً : لأن لهؤلاء النساء شركاء فيما فعلن فلم يسجل الوحى العار عليهن دون أولئك .

خامساً : لأن المسيح إنما جاء ليشّرف البشرية لا ليأخذ شرفاً منها . وهذا فى حد ذاته يسقط الاعتراض على وجودهن فى سلسلة نسب المسيح .

• • •

أما مَا وَصَفَ به حزقيال فى الاصحاح الثالث والعشرين زنى السامرة وأورشليم والممارسات الرديئة لهما من هذا الوجه والتى بسببها يعلن الله القضاء الصارم عليهما ، وهو فى ذلك يعرى الرذيلة ليكشفها تماماً بعد أن لعبت المدينتين سالفتى الذكر ـــ أى سكانهما ـــ دور الزانية وانحطت بذلك كلتاهما إلى مستوى الأمم الذين حولهما تمام الإنحطاط . فاستخدم النبى لهما كناية « الزنى » بكل ما يرتبط به من

بشاعة لتوبيخ رذائلهما الرجسة بصرامة ، وهذا بعيد تماماً عن ادعاء الناقدين بأن هذه كتابة شبيهة بما يرد فى كتب « الجنس » أيا كان نوعها !!

• • •

وأما عن قيام داود بعد الشعب ، وهل كان ذلك من الله أم من الشيطان لاختلاف روايتى صموئيل الثانى وأخبار أول فى ذلك فالمعنى المضمون فى ذلك هو أن الرب هاج على داود بأن سمح للشيطان أن يدفعه إلى هذا العمل ... أما سبع سنين الجوع المرتبطة كحكم عقابى على ذلك فإن الترجمة السبعينية قد أوردتها فى صموئيل الثانى ثلاثة لا سبعة متطابقة مع ما فى أخبار أول وكل ما فى الأمر أن حرف ZAIN (سبعة) أخذ على أنه 6IMEL (ثلاثة) وكذلك الحال بالنسبة للمزاود وحمامات سليمان وبالنسبة للأخيرة فقد كتب سفر أخبار الأيام بعد السبى البابلى لذلك فمن الممكن أن تكون الإشارة هنا إلى البث (الحمام) البابلى وهو أقل من اليهودى وهنا يحل اشكال اختلاف العدد هنا ما بين ألفين وثلاثة آلاف . وأما عن الاختلافات الرقمية الأخرى فقد كان اليهود يعدون بالحروف لا بالأرقام ووجود إختلاف من هذا القبيل محتمل جداً فمثلاً الحرف ZAIN وفوقه نقطة يمثل ٧٠٠٠ بينما الحرف NUN يمثل ٧٠٠ وفضلاً عن وجود تشابه بين هذه الحروف فإن هناك أيضاً إمكانية وضع حرف منها مكان الآخر !!

وكل سبط وأمرهم أن تقرأ فى مسامع الشعب فى أماكن العبادة باعتبارها النظام الأساسى للعهد بينهم وبين الله (تث ٣١ : ٩ و ١١ و ٢٤) .

وهكذا نفَّذ موسى أمر الرب بحفظ كتاب التوراة فى أقدس وأضمن مكان بجانب التابوت ، كما أمر أيضاً بتسليم نسخة للملك الذى يجلس على العرش ــ فيما بعد ــ ليعمل بها . ولذلك فقد أُعتبرت التوراة « سفر الشريعة » من أهم الأسفار فى العهد القديم لأنها الأساس أى أصل العهد سالف الذكر ولذلك فهى مقدسة جداً حتى اعتبر بعضهم باقى الأسفار الأخرى كمجرد تفسير لها !!

واستلم **يشوع** شريعة موسى ــ أى هذه التوراة ــ وقد صار قائدا للشعب بعد موت موسى ، فأمره الرب حينئذ أن يتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فى سفر هذه الشريعة (يش ١ : ٧ و ٨) وقد حفظ يشوع شريعة موسى أى الأسفار الخمسة ، وكتب هو كتابه وهو السفر السادس ووضعه فى نفس المرتبة التى وضعت فيها أسفار موسى وعمل بشأنه مثلما عمل بشريعة موسى (يش ٢٤ : ٢٦) .

ويأتى من بعده سفر القضاة ، ولايُعرف بالتأكيد من هو مؤلف هذا السفر ، ومع أن التقليد اليهودى ينسبه إلى صموئيل لكنه لا ريب قد جُمع من مدونات كانت موجودة وقت كتابته ، وهو يشمل المدة من موت يشوع إلى قيام **صموئيل** ــ مؤسس مدرسة الأنبياء ــ وهو الذى « كتب قضاء المملكة فى السفر ووضعه أمام الرب »

الخـــاتمـــة

وجدير بالذكر هنا فى خاتمة هذا الكتاب الإشارة لما جاء فى كتاب « بديع الحساب فى تنزيل الكتاب » مما اكتشفه العلامة « بانين » من أن الكتاب المقدس كله مكتوب على قاعدة نظام حسابى هندسى بديع بحيث لا يستطيع علماء البشر وفلاسفتهم أن يكتبوه من أنفسهم مهما أجهدوها . وقد ورد به هذا الوصف عنه « سباعيات سهام كلمتك » (حبقوق ٣ : ٩) أى أنها سباعية هندسية غريبة الشكل فإن جميع كلماته وحروفه تنقسم إلى سبعات ، مما لا يمكن أن يكون ذلك قد حدث صدفة ــ وقد قام هذا العلاَّمة بعمل فهرست للكتاب من أوله إلى آخره بموجب هذا الحساب السباعى وهو من أغرب مؤلفات العالم إذ يبين أن الكتاب قد أنزل بالحرف الواحد حتى أنه ساعد بذلك على بيان أىُّ النسخ هى الاضبط فى الهجاء ــ لا يوجد فصل فى التوراة إلا وهو مؤلف على هذا الأسلوب الحسابى الدقيق فلو كان المرجع مهارة البشر لأقتضى تأليف السفر الواحد منها مئات السنين وهيهات أن يكون : إن أقوى برهان على هيمنة الوحى هو أن الله قد تدخل فى كل كلمة وكل حرف فى كتابه بل عيَّن للحرف مكان وروده فلكل كلمة موضعها ولكل اسم معناه بل قيمته العددية فليست المسألة صدفة ولا فوضى بل صورة رائعة من الجمال البديع ! فهل يمكن لبشر ما أن يكتب كتابا بغاية السهولة

والوضوح والعمق بدون تسويدة أو مراجعة أو تصليح أو تنقيح ثم تأخذه أنت بعد كتابته وتحسبه بالكيفيات التى ذكرناها فتجده مضبوطا بالتمام !؟

هنا لا يوجد مجال للتحريف على الإطلاق لأن الكتاب بهذه الصورة لا يحتمل أن تزاد عليه « أ » واحدة أو تنقص منه لأنه إذا فرضنا وكانت جمل فقرة ما مجموع حسابها ٤٩ وزيدت عليها ألف (والالف بواحد فى حساب الجمل) صار المجموع ٥٠ وهذا العدد لا يقبل القسمة على سبعة وبالتالى يختل ميزان الحساب المطرد عن كونه سباعيا ، والحال نفسها إذا ما أنقصت « أ » أيضا . هذا هو السور الواقى إنها الكيفية الحسابية التى منعت إمكانية قبول الكتاب لزيادة أو نقصان كلمة أو حرف .

إن اكتشاف العلاَّمة « بانين » المدهش والعجيب هو إحدى الوسائط التى عيَّنها الله بل ألهمه بها لفكِّ الأزمة المنتظرة لأن هذا الاكتشاف أصبح الضربة القاضية على أقوال المنتقدين ممن يرفضون الكتاب المقدس أو ينكرون وحيه .

فمسألة تحليل كتاب الله تحليلا حسابيا أمر لم يحلم به الإنسان قبلا فجاء الحجة القاطعة التى لا تقبل المغالطة ولا المماحكة وكل من أراد أن يعرف إرادة الله عليه أن يمسك الكتاب المقدس فيرى فيه خط مؤلفه وبصمته فهو كتاب مؤلف بالكيفية الحسابية الهندسية العجيبة وهو لذلك معجزة كبقية مصنوعات الله جلَّ وعلا ، تقف فى صف أكبر المعجزات بل تفوقها إعجازا !!

وقد تابع هذا **العلامة بانين** نظام القيمة العددية (لأن لكل حرف من الحروف العبرانية واليونانية قيمة عددية) وكذلك القيمة الموضعية لكل حرف منها (أى بحسب ترتيب ورودها فى الأبجدية) فبواسطة القيمة العددية للحروف كان يجرى العبرانيون واليونانيون جميع عملياتهم الحسابية وقد أضيف إليها فى الأسفار المقدسة أسلوب آخر هو القيمة الموضعية ... فينتج من ذلك أن قيمة الكلمة فى العبرانية أو اليونانية هى مجموع القيمة العددية والقيمة الموضعية لتلك الكلمة !

لقد أقام الله عالم الطبيعة والفلك وتكوين الإنسان نفسه على قواعد حسابيه ، بل أن قول ربنا يسوع : « حتى شعور رؤوسكم محصاة » نجد أن الكلمة المترجمة « محصاة » فى اليونانية arithmeo هى ذات الكلمة المشتق منها كلمة « الحساب » ، فإن كان الله يحسب شعور رؤوسنا فلا بد أن يحسب كلمات كتابه « وهذا ما وصل إليه ايفان بانين » (مكتشف النظام الحسابى السباعى فى الكتاب الذى هو البرهان الذى لا يدحض على تنزيل الكتاب المقدس من الله الجليل وعدم قبوله التحريف أو التبديل » لدرجة أن الدكتور سمربل دخل على هذا المكتشف ووجده يعد من فهرس الكتاب عدد مرات ورود اسم موسى فى العهد الجديد فوجدها ٧٩ وكان قد عد مرات وروده فى العهد القديم فوجدها ٧٦٧ مرة فالمجموع يكون ٨٤٦ مرة ولأنه واثق من صحة الحساب السباعى فى الكتاب عكف على اعادة البحث فى العهد الجديد فوجد عدد مرات ورود اسم موسى فيه ٨٠ مرة فاستقام أمامه الحساب إذ صار عدد مرات الورود ٨٤٧ أى ١٢٠ × ٧ .

وقد أورد كتاب : « بديع الحساب فى تنزيل الكتاب » نماذج وأمثلة من هذا القبيل تنطبق فيها هذه القاعدة بدءاً بسفر التكوين فاتحة التوراة كما فى المزامير والانجيل ــ بل كشف انطباق هذه القاعدة على مجالات أخرى كالتى أشرنا إليها ، مما يدل على أن الذى أحصى كل شىء عداً ، هو الذى وضع كتابه على هذا النسق الإعجازى الفريد مؤكداً بذلك بأنه ليس بكتاب عادى بل هو دون سائر الكتب « الكتاب » !!

• • •

وها نحن قد بلغنا إلى نهاية هذه الصفحات الخالدة وهى لم تكن مجرد سرد تاريخى فحسب وإنما تقييم علمى متكامل ونظرة مترابطة الحلقات تضمن لهذه القضية الشائكة الخاصة بمصادر الكتاب المقدس الوضوح والبساطة بالوقوف على كافة زواياها واقرار اعتبارها حسب وضعها الصحيح فى نور البحث العلمى الشامل وكشوف العصر التى رحَّبنا بها كعون لنا لتوسيع مداركنا وتنوير أذهاننا حين نقرأ أروع كتابات فى العالم بسحرها الخلاب وجاذبيتها الفاتنة . وهذه هى مهمة هذه الدراسة التى أخذناها على عاتقنا بعون الله ولعلنا أدينا واجب الامانة ولو بقدر ما لمجد صاحب الكتاب وخير النفوس الغالية التى سيتقرر مصيرها فى ضوء ما جاء به !! وأساس هذا كله تفنيدنا لكافة أوجه النقد التى وجهها المغُرضون له ... هذا الكتاب العجيب الذى لم يحدث أن وجد ما يقارن به فى تاريخ البشر ، الكتاب الوحيد التقدمى الذى سار مع كل الأجيال متحدياً كل العصور برسالة شخصية مباشرة ، وخيط الوحدة الذهبى يربطه من أول صفحة فيه

لآخر صفحة ــ إنه يخاطب كل الناس أيا تكون طبقتهم الاجتماعية أو تعليمهم أو جنسهم أو دينهم . ولذلك حفظه الله الذى أرسله للبشر حتى الآن وهو محفوظ فى المستقبل أيضاً بنفس القدرة التى أرسلته ... ومن ثم فلا عبرة بما طلع به علينا أحدهم مؤخراً فى كتيب جعل عنوانه : « هل الكتاب المقدس هو أقوال الله !؟ » محاولاً الاستناد فى نقده للكتاب المقدس على ما يزيد عما ذكرناه فى هذا البحث إلى أقوال مبتدعين ممن لا صلة لهم بالمسيحية وكذلك استفاده إلى مقدمات بعض الترجمات الإنجليزية وهى أيا تكون ليست جزءاً من الكتاب المقدس بأى حال من الأحوال ــ أما كلمات الكتاب نفسها التى وقع عليها اختيار الوحى فلا تزال أضواء معانيها تبهر الجميع وبالأخص علماء الكتاب المقدس أنفسهم ، وهم يبذلون أقصى ما فى طاقة البشر من جهد لاستجلائها مع يقينهم باستحالة الإحاطة بها ، لأنها باعتبارها الإعلان النهائى من الله تتسم بصفة « اللانهائية » . هذا هو « الوحى المكتوب » الذى حمل دون سواه اسم « الكتاب المقدس » تمييزاً له عن سائر الكتب الأخرى حتى أنه من الممكن جداً أن يغنينا عنها جميعاً إذ هو الكتاب الذى ليس له مثيل ولا يقبل البديل !!

انتــهى بعونــه تعــالى

أهـــم المراجـــع

١ ــ مقدمات العهدين القديم والجديد	
٢ ــ مذكرات علم التفسير	للدكتور فهيم عزيز
٣ ــ مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية	لمتى بهنام
٤ ــ المدخل إلى الكتاب المقدس	لحبيب سعيد
٥ ــ عصمة الكتاب المقدس	ليسى منصور
٦ ــ كتاب كل العصور	للقس طانيوس زخارى
٧ ــ التاريخ فى الكتاب	لكاترين هنرى
٨ ــ شهادة علم الآثار للكتاب	للقس حافظ داود
٩ ــ بديع الحساب فى تنزيل الكتاب	لجيرى تامضروس
١٠ ــ التوراة ــ ونشيد الأنشاد	للقس لبيب ميخائيل
١١ ــ المختار فى تفسير التوراة	لسلمون ملكاة
١٢ ــ التوراة الهيروغليفية	للدكتور فؤاد حسنين
١٣ ــ فى زورق الشمس	لعزرا مرجان
١٤ ــ مرشد الطالبين	

15. Where our Bible came from ... Swaim.
16. The Bible Triumphant - urquhart.
17. The Old Testament story & Message - Nevius.
18. Introduction to The Old Testament - young.

رقم الإيداع : ٥٨٥٠ / ١٩٩٠

I.S.B.N.

977-5155-00-2

(١ صم ١٠ : ٢٥) أى أنه ضمه إلى ما كتبه موسى ويشوع ليحفظ فى هيكل الرب ، وهذا يعنى قيامه بتسجيل تأسيس النظام الملكى بعد عصر القضاة ، وتوالى من بعده **الأنبياء** الذين ظهروا فى عهد الملكية إلى زمان انتهائها بالسبى البابلى بل منهم من ظهر أثناء السبى وبعد الرجوع منه !

وهكذا ظهرت مكتوبات الأنبياء فى إثر الكتابات التى تلت شريعة موسى ، وكانت هذه ضرورية لتسجيل التاريخ المقدس ثم لتحذير الشعب ، فأخذت مكانها كتكملة ضرورية للتاريخ الذى تحويه التوراة . وهناك إشارات ذكرها الأنبياء أنفسهم تلقى ضوءاً على كيفية كتابتهم لما كتبوه يتبين منها أن بعض أقوالهم كانت تكتب بعد إلقائها ، وبعضها الآخر لم ينطق بها قط وإنما جاءت مكتوبة ، وفى كلتا الحالتين اعتُبرتْ كإبلاغ إلهى مباشر عن طريق النبوة التى أوكلت لهم ! ومع أنهم نبروا على ضرورة حفظ شريعة الرب ، لكنهم فى نفس الوقت أعتبروا أن لكلامهم ذات المقام وذات الأهمية التى لشريعة الرب حتى إن عصيان كلامهم كان عقابه كعقاب عصيان شريعة الرب (٢مل ١٧ : ١٣ ، نح ٩ : ٣ ، دا ٩ : ٥ و ٦) واعتبر أن ما وقع على الشعب من غضب إنما كان نتيجة عصيانهم وتقسيهم (زك ٧ : ١٢) **وهكذا كانت تضم الأسفار المقدسة إلى كتاب الله رويدا وريدا حتى اكتمل العهد القديم** ... ويصف أشعياء ذلك بقوله « فتشوا فى سفر الرب واقرأوا . واحدة من هذه لا تفقد . لا يغادر شئ صاحبه لأن فمه هو قد أمر وروحه قد جمعها » (٣٤ : ١٦) .

ولقد ظن بعضهم أنه لم يكن هناك سوى نسخة واحدة من التوراة حتى إذا ضاعت وأريد تجديدها عمدوا إلى الروايات اللسانية ـــ وهذا الظن باطل ، لأن موسى الذى أمر بأن توضع نسخة التوراة التى كتبها بيده بجانب التابوت هو نفسه الذى كلف اللاويين بنسخ نسخ منها لتكون لدى الكهنة والقضاة والملوك كما سلف الذكر .

ومع ذلك فبسبب هذا الظن قد تراءى لبعضهم أن التوراة لم تكن موجودة فى أيام سليمان بسبب ما هو مذكور عند إدخال التابوت إلى مكانه فى محراب البيت فى قدس الأقداس من أنه « لم يكن فى التابوت إلا لوحا الحجر اللذين وضعهما موسى هناك فى حوريب » (امل ٨ : ٩) ، (٢ أى ٥ : ١٠) ولكن هذا الخبر لا يدل على أن التوراة كانت مفقودة حينئذ حيث أن التوراة قد أمر موسى بوضعها **فى جانب التابوت لا فى داخله** ، والخبر الوارد فى سفرى الملوك والأخبار إنما هو عن الشىء الذى كان موجوداً فى التابوت أى لَوْحَىْ الحجر ، وليس عما كان بجانبه ـــ وحتى لو كان موسى أمر بوضعها داخل التابوت نظير اللوحين ، لكان الخبر المشار إليه يدل على فقدانها من التابوت فى زمن سليمان وليس على فقدانها كلية لأن تلك النسخة لم تكن النسخة الوحيدة ، بل كانت هناك نسخ أخرى غيرها كما سبق البيان .

ومن المحقق أن هذه التوراة كانت موجودة أيام داود وهى التى أشار إليها بقوله عنها : « كم أحببت شريعتك » (مز ١١٩ : ٩٧ ؟ ١٠٣) وقد أوصى بها ابنه سليمان حين قربت أيام وفاته (امل ٢ : ٢ و ٢٣) ، (٢أى ٧: ١٧) فلو كانت الشريعة

مفقودة فى زمن داود كيف كان يطلب من سليمان أن يسلك بحسب الوصايا والأحكام المعروفة فيها ؟ . وقد كانت التوراة موجودة كذلك فى زمن ملوك يهوذا كرحبعام بن سليمان وآسا ابن أبيا حتى إن يهوشا فاط بن آسا أرسل لاويين معهم سفر شريعة الرب جالوا فى جميع مدن يهوذا وعلموا الشعب (٢ أى ١٧ : ٩) وأيضاً هناك إشارات تدل على وجودها فى زمن يوآش بن يورام بن يهو شافاط (٢ مل ١١ : ١٢ ، ٢ أى ٢٣ : ١٨ ، ٢٤ : ٦ و ٩) وفى زمن امصيا ابنه (٢ أى ٢٥ : ٤) وفى زمن حزقيا وهو الملك الرابع بعد أمصيا (٢ أى ٣١ : ٣ و ٤) وفى أيام يوشيا الملك وجد حلقيا الكاهن سفر شريعة الرب المكتوب بيد موسى وسلمه إلى شافان الكاتب الذى أتى به إلى الملك (٢ مل ٢٢:٨-١١) ، (٢ أى ٣٤:١٤-٢٠) ومع أن الهيكل كان قد نُهب مرتين قبل ذلك (٢ أى ١٢:٩ و ٢٥:٢٤) إلا أن التوراة لم تكن ضمن الأشياء التى نُهبت لأن الناهبين اهتموا بالذهب والفضة والأوانى الموجودة فى بيت الرب ، وبناء على ذلك وجد حلقيا السفر المقدس فى نفس الموضع الذى كان منتظراً أن يوجد فيه . ويبدو أن السفر كان قد ضاع وتراكمت عليه الأنقاض داخل بيت الله ! ولا شك أن هذا السفر هو النسخة الرسمية من التوراة التى كتبها موسى نفسه وأمر بوضعها بجانب التابوت فى قدس الأقداس ولذلك يراه البعض كالنواة الأصلية للعهد القديم الحالى .

أما الزعم بعدم وجود التوراة فى واقعة سبى اليهود على يد نبوخذ نصر فيدحضه قول دانيال : « فهمت من الكتب عدد السنين

التى كانت عنها كلمة الرب إلى أرميا النبى » (٩ : ٢) وهذه الكتب هى الأسفار المقدسة حيث أن سفر أرميا هو من ضمنها مما يثبت وجود التوراة مع المسبيين فى بابل ! .

أما بعد السبى فقد اضطرمت فى نفوس الشعب محبه شديدة للتوراة لأنهم اعتبروا السبى نفسه قصاصاً عليهم بسبب إهمالهم شريعة الله فأرادوا معرفة الشريعة وطاعتها حتى يرحمهم الله ولا يعود فيذلهم كما فعل بهم فى السبى ، وقد هيّأ لهم الله فى هذه الفترة عزرا ونحميا أولهما كاتب ماهر هو الذى قرأ من شريعة الله أمام الجماعة بعد الرجوع من السبى وتدشين الهيكل الثانى فطلبوا منه حينئذ أن يأتى بسفر شريعة موسى التى أمر بها الرب فأتى بها وقرأ فيها أمام الجماعة من الصباح إلى نصف النهار (نحميا ٨) وهذا يدل على أنهم عقب العودة من السبى وُجدت معهم فى الحال نسخة من التوراة قرأوا فيها لأن نسخ التوراة كانت تُحمل معهم أينما ساروا ، ومن ثم فقد كانت معهم بعد الرجوع من السبى وهذا ينفى الادعاء بأن هذه الاسفار المقدسة قد ضاعت وأعاد عزرا كتابتها بمساعدة حجى وزكريا حسب رأى البعض أو بإلهام من الله حسب رأى آخرين . وهذا ادعاء لا يوجد دليل عليه لا فى سفر عزرا ولا فى غيره من الأسفار ، وهو لن يؤثر فى وحى هذه الأسفار المقدسة حتى بفرض صحته لأن الذى ألهم بكتابتها أولا هو الذى يكون قد ألهم بكتابتها أخيرا ولا ينتظر أنه ينسى شيئاً مما كان مكتوبا فيها قبلا لأنه منزَّه عن النسيان !!

وأما الثقاة فيقولون إنه بالاجتماع العام الذى انعقد بعد الرجوع من السبى مباشرة بدأ العصر الذى يسمى « عصر المجمع العظيم »

وهو الذى تم فيه الجمع النهائى لأسفار العهد القديم فى القرن الخامس قبل الميلاد . وكان عزرا أول من قام بمهمة هذا المجمع ، فَإِلَيْهِ ينسب اليهود برأى واحد ترتيب أسفار العهد القديم القانونية وجمعها .

وحوالى عام ١٥٠ ق . م ، حاول انتيوخس الملك الشرير إعدام جميع نسخ التوراة الموجودة حينئذ وفعلا أحرق النسخ التى حصل عليها ، ومع ذلك فلم يُبيدَ جميع النسخ لأن المكابيين جاهدوا للتحفظ على عدة نسخ منها كانت فى حوزتهم ، وقيل إن بعضا منها وُجد مختلطا بدمائهم دليلا على أن احتفاظهم بها كلف الكثيرين منهم حياتهم . ومن بين هذه النسخ الباقية ظهرت الترجمة السبعينية للعهد القديم وهى التى أمر بطليموس الثانى بترجمتها من العبرية إلى اليونانية ــ وهكذا وصل الينا العهد القديم عبر هذه المراحل من التاريخ ، وهذا يأتى بنا إلى العهد الجديد لنلقى عليه لمحة تاريخية مماثلة تستلزم منا أن نسأل فيما يختص به عن ماهيته وكيفية تدوينه :

فما هو الانجيل ؟ وكيف تم تدوين أسفار العهد الجديد ؟

« الانجيل » كلمة مترجمة عن اللفظة اليونانية « انجيليون » ومعناها « الخبر الطيب » أطلقت حصرا على الأناجيل الأربعة وبتوسع على جميع أسفار العهد الجديد تسمية للكل باسم الجزء الأشرف لأن بقية هذه الأسفار إنما تتعلق بالاناجيل وترجع إليه وهى لذلك بمنزلة تفسير لما ورد به ، وهذا شبيه بما رأيناه بالنسبة للتوراة فى أنها « أسفار موسى الخمسة » وكذلك أيضا العهد القديم كله !

وفى هذا الضوء قامت الترجمات الحديثة بترجمة لفظة « انجيليون » إلى « بشارة » لأنها تعنى « الخبر الطيب » ومنذ العصور الأولى للمسيحية حين كان يسمع أحدهم كلمة « إنجيل » كان يتجه تفكيره تواً إلى بشرى المناداة بالمسيح وكان طبيعياً أن تطلق هذه اللفظة التى عرفت فى المناداة الشفوية على السيرة المكتوبة التى تضمنت بعض تفاصيل هذه البشرى ، ولهذا فقد أطلق على كل سيرة مكتوبة كلمة « إنجيل » أو « بشارة » لأن كل سيرة منها تضمنت البُشرى عينها ، وانطبق ذلك على الأربعة الأناجيل أو البشائر ، وهذا لا يعنى تعدد الأناجيل بل إن هناك إنجيلا واحدا فى أربع بشائر مختلفة لأربعة من الكتّاب ... ومن الشّيق أن نلاحظ هنا أنه فى المخطوطات القديمة للعهد الجديد جمعت البشائر أو الأناجيل الأربعة معا فى كتاب واحد تحت عنوان واحد . « الانجيل » وكتب اسم الكاتب فى أول كل سيرة كأن يقال « الانجيل كما كتبه متى » .

وإذاً فالفكرة القائلة بأن يسوع جاء إلى العالم بكتاب أنزل عليه اسمه « الانجيل » فكرة خاطئة لا تطابق الواقع ، والأحرى أن يقال إنه عندما جاء يسوع إلى العالم أعطى الإنجيل للناس لأن معناه كما سلف القول البُشرى فكان هذا المجىء نفسه بكل ما انطوى عليه هو البُشرى أو « الانجيل » .

أما كتابة الإنجيل فى أربع بشائر فقد كان هذا ليعطى صوراً مختلفة أخّاذة عن حياة ربنا وصفاته ومظاهر تعاليمه المتنوعة ... والواقع أن وضع سيرة واحدة رسمية مستقاة منها لم تُرق فى نظر الكنيسة الجامعة التى رأت أن كل إنجيل من الأناجيل الأربعة يقدم ناحية خاصة من

حياة المسيح مع اتفاقها الذى لا ينكر فى الحقائق الأساسية من سيرته .

وقد قُبلت البشائر الأربع كوثائق رسمية قانونية بالإجماع فى أواخر القرن الثانى حوالى سنة ١٨٠ م بعد أن كانت قد ظهرت منذ القرن الأول بشارتا لوقا ومرقس فى رومية ومتى فى أنطاكية ويوحنا فى أفسس واشتهرت كل من هذه البشائر أولا فى كنيسة المدينة التى ظهرت فيها لأول مرة ثم ظهرت فى الكنيستين الأخريين وبعد ذلك قبلتها جميع الكنائس .

قال أوريجانوس : « إن الأناجيل لم تبرح قط أربعة لا غير ولا تزال معروفة فى الكنائس بأسرها ، وهى المقبولة دون ريب فى الكنيسة الجامعة وقال امبروسيويوس : « ليس إلا أربعة أناجيل قُضى لها بمزية التنزيل » ويشبّهها أوسابيوس بمركبة رباعية الأفراس يحمل عليها الانجيليون جلالة الكلمة الإلهية ويطوفون بها فى جميع أقطار العالم .

وما وجود أناجيل غير قانونية بإزاء الأربعة القانونية سوى برهان آخر على عناية الكنيسة فى حفظ نصوص الأناجيل الموحى بها ، وعلى أن هذه النصوص التى دوَّنها الوحى لا تزال محفوظة إلى يومنا هذا ، دون أن يقع تداخل بينها وبين أى كتب أخرى غير قانونية . وذلك دليل قاطع على حرص الكنيسة وعنايتها فى ضبط النصوص الإلهية بريئة من كل خلط أو تحريف .

أما باقى أسفار العهد الجديد فقد قام بكتابتها الرسل ووجدت نسخ منها مكتوبة على الرقوق وقد استلمته الكنائس فى العصر

الرسولى نفسه من أيدى الرجال الذين كتبوه أنفسهم وكان من بينهم شهود عيان كيوحنا .

وقد استخدمت تقريبا نفس الطريقة والدقة فى جمعه وحفظه كالتى رأيناها بالنسبة للعهد القديم ــ وكان أول ما كتب منه رسالتا تسالونيكى ثم بعض الرسائل ، ثم الأناجيل وآخرها إنجيل يوحنا ورسائله والرؤيا . ومن ثم فقد كانت هناك حينئذ بعض الأصول للأناجيل وسفر أعمال الرسل والرسائل وسفر الرؤيا بخط أصحابها أو منسوخة منها .

أما كتب الابوكريفا (أى الغامضة) التى يدعى البعض على البروتستانت بأنهم حذفوها ، فهى كتب غير موحى بها ظهرت فى الفترة الكائنة بين العهدين القديم والجديد . وعند ترجمة العهد القديم إلى اليونانية فيما يسمى بالترجمة السبعينية ألحقت بها هذه الكتب لأنها وجدت مكتوبة باليونانية أيضاً ــ وهى اللغة السائدة فى ذلك اليوم .

وأما البروتستانت فقد أخذوا عن التوراة العبرانية التى لم تضم هذه الأسفار وهم لم يعتقدوا بوحيها لأسباب كثيرة منها :

أولاً : أن لغتها ليست عبرية بل يونانية وكتّابها يهود مشتتون .

ثانيـاً : لم تظهر هذه الكتب إلا بعد إنقطاع الأنبياء برغم وعد ملاخى بإيليا بعده .

ثالثـاً : ورد فى كتاب الحكمة إنه نزل على سليمان ثم استشهد بأقوال من اشعياء وارمياء مع أنهما كانا بعد سليمان بزمن مديد . وورد عن اليهود أنهم كانوا أذلاء مع أنهم كانوا عكس ذلك .

رابعـاً : لم يذكر فى أى كتاب منها أنه وحى بل ورد بها اعتذار عن الغلط والاسقاط .

خامساً : رفض اليهود قبولها ، وذلك لأن يوسيفنوس المؤرخ اليهودى لم يدرجها ولم يرد لها ذكر فى التلمود ، وكذلك لم يستشهد بها المسيح ولا رسله .

سادساً : إنها منافية لروح الوحى فقد ذكر فيها تناسخ الأرواح والتبرير بالأعمال وجواز الكذب بل والانتحار لدرجة التشجيع عليه وخرافات أخرى عديدة .

سابعـاً : أيا يكون من اعتقد بها بين المسيحيين ، إلا أن الحكم هو للأمة اليهودية بالنسبة لما أوتمنت عليه من أقوال الله ، وأى موقف يخالف موقفها ليس بدليل على صحتها بعد أن أعلن مجمع يمنية (اليهودى) عام ٩٠ رفض قبولها .

ثامنـاً : لم يّدعى أحد بتنزيل هذه الكتب إلا بعد ٤٠٠ سنة من التاريخ المسيحى ولم يعدها أحد من أئمة الدين المسيحى الأفاضل من الكتب المقدسة ولم يدرجها مجمع نيقية ضمن أسفار الكتاب المقدس ...

وموقف كهذا يدل على شدة تدقيق اليهود والمسيحيين فى أمر الكتب المقدسة فهم ليسوا ممن يضيفون كل ما يجدونه أو يسمعونه إلى كتبهم الموحى بها .

● ● ●

البـــاب الثـــانى
منشـــأ فكـــرة المصـــادر

من الصعب أن نكتشف بالضبط متى ظهر النقد المعادى للكتاب المقدس لأول مرة ولكن يبدو أن ذلك حدث ــ وخاصة بالنسبة للعهد القديم ــ فى مدرسة الأسكندرية التى احتضنت الفلسفة اليونانية ونظراً لكثرة اليهود بها فقد حدث صراع بالطبع بين هذه الفلسفة ومبادىء الناموس أيهما أسبق وأيهما أخذ من الآخر !؟

ثم ظهرت الغنوسية وكان من أهم أهدافها معاداة العهد القديم ومن بعدها توالت الهرطقات واتجهت إلى التشكيك فى كون موسى هو مؤلف الكتب الخمسة .

وعندما ظهرت مدارس النقد الحديث (العصرى) اعتبرت الكتاب المقدس كأى كتاب آخر فأخضعته من جانبها للتحليل والدراسة العلمية البحتة بعيداً عن الدراسة العقائدية المألوفة . وبعد أن كان النقد يدور حول دراسة النصوص اتجه إلى الأصول نفسها ، فأرادت أن تعرف بالضبط كيف تحوّل الوحى من دائرة التسليم الشفوى إلى نطاق التثبيت الكتابى . وكان من نتيجة هذا البحث أن نشأت فكرة « المصادر » التى قيل إن التوراة بل والإنجيل أيضاً كتب عنها .

• وكان من الطبيعى أن تبدأ هذه المدارس النقدية بالتنقيب عن أصل الأسفار الخمسة وفتحت بذلك باب التساؤلات هنا عما إذا كان موسى نفسه هو الذى قام بكتابتها كلها أم أنه أشرف على وضع النص الملهم الذى دوَّنه كتبة عديدون !؟

ولقد كان فى إطلاق اسم « أسفار موسى الخمسة » على التوراة إشارة واضحة إلى الاهتمام بموسى بل وافتراض نسبة هذه الأسفار إليه واعتباره مؤلفها ، **والواقع أن جوهر التقاليد المدونة فيها ونواة التشريع التى تتضمنها تتصل بلا ريب بذلك العصر الذى تسوده شخصية موسى الكبيرة فهو وسيط الوحى الإلهى فى هذه المرحلة المبكرة من تاريخ البشرية** . يشهد بذلك فيلو الاسكندرى ويوسيفوس المؤرخ المعاصران للمسيح ، وهذا هو نفس ما قالت به الكنيسة المسيحية فيما بعد ... لقد اعتبرت موسى مركز التوراة شخصياً وعقائديا كالمسيح تماما بالنسبة للإنجيل فلم تر فى ربط التوراة باسمه ــ طبقاً لما أخذته عن اليهود ــ أى حرج أو غرابة !

وهنا ينبرى الناقدون العصريون إلىّ القول بأنه ليس هناك دليل فى التوراة التى بين أيدينا على أن موسى هو مؤلفها بل ان الأخبار الواردة بها والتى تشير إليه قاصرة على عبارات بعينها ولا تعنى التوواة كلها ، وحتى هذه العبارات قد لا يقصد مؤلفها الحقيقى ــ كما يقولون ــ إلا مجرد الاشارة على أنها لموسى ليس إلا .

ولقد خالوا أن هذه التوراة ليست لموسى لأن فيها عبارات تتعلق به لا يمكن أن تصدر منه كالاشارة إلى حلمه ، وتفرده بعظمة خاصة

به وكذلك الجزء الخاص بوفاته وذلك مردود لأنه من المسلَّم به أن تدوين خبر موته والشهادة عنه بأنه لم يقم نبى مثله إنما قد أضيف بواسطة كاتب آخر والمرجَّح أنه يشوع ، وأما بالنسبة لما ورد عنه بأنه كان حليما جدا بحسب ما جاء عنه فى صيغة الغائب فى سفر (العدد ٢٢ : ٣) فيقول المعترضون إنه لابد من أنه كُتب بعد موسى لأن موسى لا يكتب عن نفسه فى هذه الصيغة ولا يتكلم عن نفسه الكلمات الواردة هنا ولكن هذا القول مردود لأن موسى تكلم عن نفسه فى مواضع أخرى وفى صيغة الغائب (خر ٦ : ٢٧ ، ٧ : ١ و ٢٠) ولا غرابة فى ذلك . ولا يمكن تدعيم القول بأن موسى لا يمكن أن يكتب عن نفسه،ورد فى هذا النص لأنه بسبب مركزه فى النظام الإلهى كان أحلم إنسان ولذلك رفض أن ينحنى ليدافع عن نفسه فلو لم تكن هذه الآية أصلية لكان تصرُّف الرب المثبت فى العدد الرابع لا يمكن توضيحه .

وظنوا أن هناك تناقضا فى البيانات وتكرارا فى الروايات مما يستوجب اختلاف وتعدد المصادر التى أخذت منها ، فتعرضوا لاصطلاحات فلكية كالاشارة إلى الجهات الأصلية كالتى ترتبط بأماكن حددت بعض الوقائع وأخرى جغرافية وتاريخية إدعوا أنها لم تكن قائمة أو معروفة فى عصر موسى ..، ومن أمثلة هذه الاعتراضات التى أثاروها بأن ذكْر سفر التكوين « لوجود الكنعانيين فى الأرض ليس صحيحا لأنهم لم يكونوا هناك حينئذ » وهذا الاعتراض باطل لأنهم كانوا موجودين فعلا (١٣ : ٧) ولا يمكن اتخاذ مثل هذا الادعاء حجة ضد تأليف موسى للتوراة ـــ وأن

« دان » المذكورة فى التكوين أيضا (١٤ : ١٤) قالوا إنه لم يكن لها وجود فى ذلك العصر لأنها توجد فى عصر القضاة وكان أسمها أولا لايش (١٨ : ٢٩) ، ولكن الكاتب المدقق يانج يقرر أنه قد تكون هذه « دان » أخرى غير الوارد ذكرها فى سفر القضاة وحتى إن كانت هى ذاتها فمن الجائز أنه عند إعادة النسخ المتكرر رؤى كتابتها بهذا الاسم فى القضاة لشهرتها به فى التكوين . أما قوله « فى حبرون » (تك ١٣ : ١٨) وهى نفسها مغارة المكفيلة التى هى حبرون فى أرض كنعان (تك ٢٣ : ١٩) فهى ملحوظة مفسرة قد أضافها موسى لأن حبرون لم تكن موجودة فى أيام إبراهيم . وأما عن الإشارة إلى ملوك أدوم (تك ٣٦ : ٣١) التى يرى البعض أنها لابد أن يكون قد كتبها شخص آخر فى وقت متأخر عن عصر موسى حيث لم تكن هناك ملكية فى عصر موسى فإن هذا الاعتقاد ليس حتميا بل هو مردود لأنه أولا لا يوجد دليل على أن أحدا من ملوك أدوم كان فى وقت متأخر عن عصر موسى . والأكثر واقعيا إن الملوك كانوا موعودين (١٧ : ٦ ، ٣٥ : ١١) وكانوا تحت النبوة (عدد ٢٤ : ٧ ، تث ١٧ : ١٤) وبذلك كان ممكنا لموسى أن يكتب عن ذلك . أما الاشارة إلى كتاب حروب الرب (عدد ٢١ : ١٤) فلا تعنى أن موسى ليس هو الكاتب ولا أن القصد من هذا الاقتباس تحقيق التفات جغرافى بل توجيه التفات الشعب لما عمله الله لأجلهم .

أما قيام مدارس النقد الحديث بتحليل جميع الروايات التى جاءت فى التوراة مرتين بقصد إيجاد تضارب فى الآراء حولها لا يمكن معه

التسليم بصدورها عن مؤلف واحد أو حتى لو صدرت عن مؤلف بعينه يجب صدورها فى عصور مختلفة الأمر الذى يؤدى إلى نتيجة حتمية ـــ وفقاً لما ارتأته ـــ وهى أن الأسفار الخمسة لم يؤلفها موسى ذاته كما لم يؤلفها واحد فقط بل هى عبارة عن كتاب يرجع إلى مصادر متعددة وعصور متباينة ، وهذه المصادر قد انتقلت من السلف إلى الخلف إما شفاهاً أو كتابة فإنه **مردود لأن ورود قصتين أو أكثر عن الحادث الواحد فى التوراة بل وأحياناً فى غيرها من الأسفار التاريخية أمر لا يجب أن يؤخذ دليلا على فرض وجود مصدرين مختلفين إذ قد تكون له مبرراته حتى وإن اختلفت الرواية عن الأخرى كما جاء فى عديد من الحوادث** إبتداء من قصة الخلق نفسها التى جاء عنها خبران فى سفر التكوين أولهما فى الأصحاح الأول وثانيهما فى الأصحاح الثانى ، وقد ظن النقّاد بأن البيان الأول منهما مأخوذ عن القصة المصرية الخاصة بالخلق بدليل ذكر التنانين العظام (أى التماسيح) فيه وثانيهما مستقى من قصص بابلية صوَّرها الكاتب ونسقها بالوحى ، ولكننا عند التأمل فيهما نجد أن مضمون الأول هو إيضاح الكائنات كافة وذكر خلق الإنسان وبالاختصار لبيان نسبته إلى الخليقة جمعاء وأما الثانى فهو تكملة للأول تتضمن ذكر خلق الإنسان بالتفصيل تمهيداً لذكر أحواله فى الفردوس وسقوطه .

أما ما حسبوه تناقضاً فيما ذكر عن عدد البهائم الطاهرة التى أمر الله نوحا بأن يأخذها معه إلى الفلك ومقداره سبعة سبعة ذكرا وأنثى ومن التى ليست بطاهرة اثنين ذكرا وأنثى ، ثم عادت الرواية فذكرت

أن الداخلين إلى الفلك من الوحوش والبهائم والدبابات والطيور كانوا اثنين اثنين ذكرا وأنثى ، من كل ذى جسد (تك ٧ : ٢ ، ١٥) فلا تناقض فيه لأن البيان الأول يحدد عدد من يدخلهم نوح إلى الفلك من كل من البهائم الطاهرة وغير الطاهرة بينما يهدف البيان الثانى إلى ذكر كيفية الدخول بتحقيق نوعيته أى أن نوحا أدخل من كل جنس منها اثنين اثنين أى ذكرا وأنثى من كل منها ..

أما حادثة بيع يوسف وقد نسبت مرة للاسماعيليين وأخرى للمذيانيين فالواقع أن كليهما من القوافل الرُّحَّل التى تشتغل بالتجارة وهى تتكون من خليط من الاعراب بعضهم من شمال الجزيرة العربية وبعضهم من مديان فى شبه جزيرة سيناء ولذلك نسبت عملية بيع أخوته له لكليهما فى نص واحد (تك ٣٧ : ٢٨) كما نسب بيعه فى مصر لفوطيفار لكليهما كذلك (تك ٣٧ : ٣٦ ، ٣٩ : ١) كما أنه لا يوجد تناقض فى نسبة ما دار حوله من تصرف مرة إلى رأوبين وأخرى إلى يهوذا لأن الأول اقترح إلقاءه فى الجب بينما اقترح الثانى بيعه وكل من هذين الأمرين يختلف عن الآخر (٣٧ : ٢٢ ، ٢٦) .

أما عن إنكار إبراهيم لسارة كزوجة له وتكراره فى (تكوين ١٢ ، ٢٠) فلا غرابة فيه ولا تناقض لأن هذه الحادثة قد حدثت فعلا مرتين الأولى ترتبط بفرعون ملك مصر والثانية بأبيمالك ملك جرار .. وكذلك الادعاء بأن اسماعيل بن هاجر ولد فى رواية فى بيت إبراهيم وفى رواية أخرى فى الصحراء (تكوين ١٥ ، ٢١) فإنه مردود لا تحرِّى للدقة فيه لأن ما جاء فى الموضع الأول منه المسجل

فيه حديث الملاك مع هاجر إنما هو تقرير بأنها حبلى فقط وأن عليها ــ إذ كانت هاربة حينئذ ــ أن ترجع إلى بيت إبراهيم وتخضع لمولاتها سارة . وأما ولادة إسماعيل فقد ثبت فى كلا الموضعين بأنها قد حدثت فى بيت إبراهيم .

أما اقتران موسى نفسه الذى أشير إليه مرة بأنه بابنة رعوئيل وأخرى من ابنة يثرون (خر ٢ : ١٨ ، ٣ : ١) فتفسيره أن رعوئيل فى الواقع هو الجد ــ أى أبو يثرون . وكان من الجائز نسبة النسب إلى الجدود بدليل ما ذكر عن لابان أنه ابن ناحور مع أن أباه هو بتوئيل (تك ٢٩ : ٥ ، ٢٤ : ١٥ و ٢٩) وزكريا قيل عنه أنه ابن عدو (عزرا ٥ : ١) مع أن عدو هذا كان جده إذ أنه يذكر فى فاتحة سفره بأنه ابن برخيا بن عدو (زك ١ : ١) .

أما ما ذكر عن نصب خيمة الاجتماع خارج المحلة فى الخروج ٣٣ : ٧ وما قيل عن إحتلالها مركز الوسط عند الإقامة كما فى سفر العدد ٢ : ٢ فلا تناقض فيه لأن الحالة الأولى كان الشعب فيها تحت الغضب الإلهى بسبب تعبدهم للعجل الذهبى فكان من مراحم الله أن أمر موسى بأن ينصب خيمة الاجتماع خارج المحلة حتى لا يفنيهم إذا استمرت فى الوسط ــ مكانها الطبيعى المقرر ــ وظهر مجد الحلول الإلهى فيها ..

أما ذكر الأعياد مرة ثلاثة فى خروج ٢٣ (الفصح والحصاد والجمع) ومرة خمسة فى لاويين ٢٣ (الفصح والفطير والحصاد والكفارة والمظال) فإن العيدين الأولين منها إنما هما مرتبطان زمانا

وحالا ، والأخير هو عيد الجمع نفسه ، أما عيد الكفارة ـــ وهو الذى قد أضيف فى اللاويين ـــ فقد كانت إضافته أمراً طبيعياً هنا بعد إقامة خيمة الاجتماع إذ كان لا يمكن تنفيذ الكفارة بدونها .

أما التفرقة بين الكهنة واللاويين كما هو مبين فى عدة مواضع منها (تثنية ١٨) فلا غرابة فيه لأن الكهنة كانوا عائلة هارون فقط أما اللاويون فكانوا سبط لاوى ، الأولون كان لهم إمتياز خدمة الرب فى نطاق تقديم الذبائح وأما الأخيرون فكانت خدمة أجزاء الخيمة وأوانيها موزعه فيما بينهم فى الحل والترحال والإقامة ، ومع ان كل كاهن يعتبر لاويا ولكن ليس كل لاوى كاهنا ...

وأما ورود الوعد بدخول كالب وحده الأرض وفى رواية أخرى كالب ويشوع (سفر العدد ١٤ : ٢٤ و ٣٠ و ٣٨) فلا يعنى إختلاف المصادر ولا أفضلية كالب على يشوع خليفة موسى بل كان كالب فقط فى المقدمة باعتباره من سبط يهوذا وقد ترك له يشوع مشهد مواجهة المقاومة . وبالنسبة لأجاج المذكور فى سفر العدد ٢٤ : ٧ فليس من الضرورى أن يكون هو أجاج صموئيل (اصم ١ : ١٦) بل قد يكون هذا لقباً لملوك العمالقة كفرعون لملوك المصريين القدماء .

يتضح من هذا كله عدم وجود أدنى تضارب بين هذه الروايات ولا يعدو الأمر من أن يكون مجرد إختلافات قصد النقد العصرى بها التعرض بالكتاب المقدس ومحاولة إيجاد المتناقضات فيه وقد تصدَّى لمثل هذا النقد كتَّاب مقتدرون كمؤلف « القول الصواب فى حل مشكلات الكتاب » .

ومرجع الخطأ فى آرائهم هذه الظن بكتابة التوراة على نسق أسلوب بشرى وهذا محال ، فإن تاريخ بدء الإنسانية أصلا بالإضافة إلى تاريخ الآباء وهما الجزءان الكبيران اللذان تبدأ بهما التوراة فى سفر التكوين أولهما يبتدىء من الفصل الأول إلى الحادى عشر ، وثانيهما من الفصل الثانى عشر إلى الخمسين ، وتاريخهما يستغرق ٢٥٠٠ سنة ما بين آدم وموسى يستحيل تتبعه من الناحية البشرية لا بمؤلف واحد ولا بعشرات المؤلفين ، فإن طبيعة الحوادث المدونة وبُعدها الشاسع فى الزمان لا يجيزان لنا ذلك ولا افتراض إنتقال ذكراها على يد مؤرخين متتابعين لا كتابة ولا شفاهاً الأمر الذى يعرّض نقلها ـــ كما يقول النقاد أنفسهم ـــ إلى كثير من التغيير والتحوير بسبب توالى الزمن مما يستحيل معه بقاؤها على هذا الرونق الفائق وبهذه الروعة الخالدة التى تتسم بها ، ولذلك فإن لدينا هنا وخاصة فى الجزء الأول الخاص بتاريخ بدء الإنسانية ـــ تاريخا موحى به أو رؤيا نبوية عن الماضى ، وهذا ما يصفه القديس توما الأكوينى بالإعلان المباشر المعطى من الله لموسى (يش ١ : ٧ ، عز ٣ : ٢ ، ٦ : ١٨ ، نح ٨ : ٨ و ١٤ ، ملا ٤ : ٤ ، يو ١ : ١٧) .

أما ما جاء فيه عن الأنساب فلم يتقرر لها مصدر مع التسليم بأنه لابد أن تكون مستقاة من مصادر صحيحة إذ يستحيل أن يكون قد ابتكرها خيال الكاتب . وقد أجمع جمهرة العلماء على هذا الرأى ويتبين من وصف الوحى لهذه الأنساب أن الغرض منها هو تقديم الأشخاص فى علاقتهم بملكوت الله وليس تقديم تاريخ مفصل للعالم ولا حتى سير كاملة لمن يقدمهم لنا .

أما تاريخ الأباء الذى يبدأ بجمع تقاليد الأجداد التى بقيت بعد الإقامة فى مصر وقد أعطتها الاكتشافات الحديثة والآثار الشرقية عدة إثباتات فغالبا ما رويت هذه القصص مشافهة قبل أن تثبت بالكتابة خلال العصور الأولى بأكملها . ومع أن المدة ما بين آدم ونوح تبلغ ١٦٠٠ سنة إلا أن آدم الذى عاش ٩٣٠ سنة قد عاصره **أخنوخ** الذى عاصر هو أيضا نوحا . وهنا تنتهى المرحلة الأولى ، وتليها المدة من نوح إلى إبراهيم وهى تبلغ ٤٠٠ سنة ويتبين من مراجعتها أن **ساما** هو حلقة الاتصال لهذه المدة الثانية فقد عاش **سام** حتى بلغ عمر اسحق ٤٠ سنة ! وبعد ستة أجيال أخرى أى حوالى ٥٠٠ سنة أخرى وصلت هذه السلسلة إلى موسى أول كتبة الوحى . وبذلك أمكن اتصال التاريخ المقدس بين آدم وإبراهيم عن طريق شخصين فقط ، كما تم الاتصال بين اسحق وموسى عن طريق شخص واحد وهو **لاوى** جد عمرام أبى موسى !

ومن هذا تظهر أهمية طول حياة الإنسان فى البداية وذلك لتسليم شعلة الحق من جيل إلى جيل ، ونعلم حتى فى عصرنا هذا ــ رغم الاتصالات ووسائل ــ المعرفة ــ معنى وأهمية التحادث المباشر والمكالمة الشخصية مع الذين يقومون بأدوار الحوادث الهامة وخاصة فى ذلك الوقت المبكر ، وهكذا كانت تنتقل أمانة الحق عبر القرون إلى أن استودعها الله إبراهيم أبا المؤمنين بإلهام خاص ليبدأ به العودة إلى إيمان الأجيال الأولى وحفظ الإيمان عن طريق نسله إلى أن قام موسى فى الوقت الذى قصَّر الله فيه أعمار البشر ، وعندئذ لم يكن ممكنا تسلم الحق وتداوله شفويا بكيفية سليمة ومضمونة ، مما أدى

إلى كتابة الوحي على يد موسى أول كتبته ، ويعتبر من المحتمل هنا أن يكون الله قد أعلن خبر الخليقة لآدم رأسا وتسلسل منه شفاها إلى عهد موسى الذى افتتح به سفر التكوين بالوحى كما إنه من الجائز أيضا أن يكون الله هو الذي أوحى به لموسى رأسا بالوحى المباشر هى وغيرها من الحقائق خلال فترة الأربعين يوما التى قضاها مرتين فى حضرة الله : لأننا عندما نفتح الكتاب المقدس وتقع أبصارنا على كلمات الاصحاح الأول من سفر التكوين نمتلىء دهشة من بساطة هذا الإعلان الإلهى وروعته وكماله فهل كان من المكن أن يكتب مثل هذا الإعلان بدون وحى مباشر ! ومن ذا الذى يستطيع أن يعطينا الحقيقة كما هى معلنة فى الاصحاحات التالية له ! لنأخذ أيضا حادثة الطوفان ، من يستطيع أن يعرفنا عن سبب وتاريخ ونتائج هذا الحادث غير الله نفسه ! وكذلك من يستطيع غيره تعالى أن يعطينا تاريخا عن ظهور الأمم وانقسام اللغات أو دعوة إبراهيم والآباء اللاحقين .. !

وهكذا يقدم لنا سفر التكوين ــ أول أسفار العهد القديم وهو أهم وأعظم وأقدم كتاب فى العالم ــ وصفا لتاريخ العالم فى الستة عشر قرنا ونصف الأولى فيرسم لنا الحياة البدائية للبشر وعوائدهم وسير التاريخ منذ البداءة ، تلك الأمور التى ما كان ممكنا أن نعرفها إلا من هذا السفر العجيب ! هذه المواضيع التى يبدأ بها والتى تستكمل فى باقى الأسفار الخمسة عن الخليقة والشريعة وخيمة الاجتماع والذبائح لابد أنها كانت نتيجة إعلان مباشر قام الله بإبلاغه لكليمه موسى وهو ما تشير إليه العبارات : « قال الرب » و « تكلم

الرب قائلا » و « هكذا قال الرب » وتمتلىء بها صفحات التوراة مما ينفى عنها الادعاء بضرورة صدورها فى عصور مختلفة لمجرد أنها تتحدث عن التاريخ القديم ، وتاريخ الآباء إلى عصر موسى !

ومهما يكن من أمر فإن معظم الدارسين أقرُّوا بأن موسى هو كاتبُ هذه الأسفار ودافعوا عن ذلك ، ولا يؤثر فى ذلك قط إذا كانت طريقة كتابته لها مستمدة من وثائق مكتوبة مأخوذة عن التقليد الشفوى أو بالإعلان المباشر ، وهيهات أن يكون مكان العقل فوق الإعلان ليحدد طرق الوحى وكيفية إشراف الله على كتابة أسفاره المقدسة التى تكفى الوحدة القائمة بينها برهانا على حقيقة مصدرها الإلهى !

هذا يأتى بنا إلى نقطة أخرى وهى هل هذه التوراة ــ بعد كل التحليلات التى أجرتها المدارس العصرية عليها ــ لا تزال موحدة الموضوع حتى تنسب إلى مؤلف واحد بعينه رغم كثرة موادها المتنوعة !؟

لقد حاول الناقدون تأييد رأيهم فى إنكار كتابة موسى للتوراة بما ارتأوه من وجود تنوُّع بين هذه الأسفار المنسوبة لموسى ، فهل تعتبر مع ذلك موحدة الموضوع !؟

والواقع إن الأسفار الخمسة تترابط ترابطا عجيبا متكاملا لا مثيل له بحيث يمكن الوقوف منها على سياق الحوادث منذ خلق العالم حتى موت موسى وأبرز مميزات هذه المجموعة الخماسية هو مزج القصص بالشرائع وإدخالها فى إطار تاريخى يختم على صبحتها ويتناسب مع

التطور التدريجى للبشرية : فبينما يبدأ سفر التكوين بفجر التاريخ وبداية الخليقة ثم دعوة إبراهيم وبداية الشعب العبرى إثر توزيع الشعوب فى مناطقها المختلفة إذ بسفر الخروج يصف رحلة العبرانيين إلى سيناء حيث يتلقى موسى الشريعة لإقامة العهد ويختتم السفر بوصف تشييد خيمة الاجتماع ، واستعداد الارتحال من سيناء . وبينما يتضمن سفر اللاويين نظام العبادة شاملا لقانون القداسة فى الإجراءات الكهنوتية وأيضا الدستور اللاوى الذى تكونت عليه الحياة الدينية إذ بسفر العدد يقوم بتسجيل رحلاتهم بالتتابع حتى وصولهم إلى قادش على الحدود الجنوبية من كنعان تلك التى انتهت بتمردهم وعقابهم بالدوران أربعين سنة فى البرية ، وما حدث معهم فى قطاع شرق الأردن قبل دخولهم كنعان . وأما سفر التثنية فيشمل أقوال موسى التى تكلم بها فى مسامع الشعب منذ أن بدأ يشرح لهم الطريق التى قادهم فيها الرب ويذكرهم بعهده معهم فى حوريب وما جاء فيه من توصيات ترتد إلى الماضى كقوله : « كما أوصاك الرب الهك » (٥ : ١٢ و ١٥ و ١٦) إنما تكون بلا معنى لولا التسلسل الطبيعى بين هذه الأسفار ثم يتكلم عن حوادث مستقبلة ويختتمه بنشيد وبركة وبيان عن اكتمال التوراة ووضعها بجانب التابوت ، ولذلك نجد أن معظم هذا السفر يتألف من ثلاث خطب ألقاها موسى قبيل ختام حياته على الشعب الذين ولدوا فى البرية ولم يسمعوا إعلان الشريعة الأصلى فاحتاجوا إلى تكرار الوصايا العشر السابق ورودها فى سفر الخروج وكثير من المواد التشريعية الإضافية والنصائح .

ومما يؤكد الارتباط بين الخروج والتكوين قائمة الأسماء الواردة

فى خروج ١ : ٢ ــ ٥ فهى شبيهة بتلك الوارد ذكرها فى تكوين ٣٥ : ٢٣ ــ ٢٦ وأيضا الإشارة إلى معرفة الآباء فى خر ٣ : ٦ الوارد ذكرهم فى التكوين وعدد ٧ يربط هذا الإصحاح بما ورد فى ١ : ١١ ــ ١٤ ، وعددى ٨ و ١٧ يذكراننا بتكوين ١٥ : ١٨ ونجد فيما بعد الأجراء المتعلقة بالأعياد وقد كتبها موسى وأيضا ترنيمته (أص ١٥) . إذاً فالأسفار كلها كتابة متحدة من وضع كاتب واحد وهو موسى . وتشهد التوراة نفسها لقيام موسى بكتابتها فى عدة مواضع منها فهو الذى أمره الرب بأن يكتب فى الكتاب (خر ١٧ : ١٤) وكتب موسى كل كلمات الرب (٢٤ : ٤ ــ ٨) وقد يشير هذا إلى كتاب العهد (٢١ : ٢ ــ ٢٣ : ٣٣) وقد يمتد ليشمل خر ١٩ ، ٢٠ وفيما بعد نجد أمر الرب لموسى بأن يكتب الوصايا مرة ثانية (خر ٣٤ : ١٠ ــ ٢٧) ومن سفر العدد ٣٣ : ١ و ٢ نرى كيف كان موسى يكتب سجل محطاتهم أثناء تجوالات البرية وقد ورد فى التثنية ٣١ : ٩ ، ٢٤ القول « وكتب موسى هذا الناموس . ومن المحتمل أن ذلك يشير إلى أسفار التوراة السابقة مادامت التثنية نفسها تعترف بشريعة موسوية سابقة ملزمة للشعب (تث ٤ : ٥ و ١٤ و ٢٩ : ١) وفى ختامة نجد ثلاثة فصول تشريعية منسوب وضعها لموسى ، وثلاثة فصول تتعامل مع حوادث تاريخية .

وكل هذه النصوص الصريحة تعتبر حجة قوية تثبت كتابة موسى للتوراة ، كما أن المسيح نفسه نسبها إلى موسى فى مواضع كثيرة من الأناجيل الأربعة ، بل إن بولس ذكر بصريح العبارة فى

رومية ١٠ : ١٩ ، وكورنثوس الأولى ٩ : ٩ أن موسى هو كاتب سفر التثنية وفى هذا ما يدحض تماما فكرة القائلين بأن كاتبا مجهولا أتى بعد موسى هو الذى كتبه ، وليست المشابهات فيما بين سفرى عزرا واللاويين دليلا على صحة مزاعمهم ولا الادعاء بأن ارمياء مثلا هو كاتب سفر التثنية لأن سفره هو الأقرب منه زمانا وروحا أو أنه كُتب بعد السبى بحسب مزاعم بعضهم . وإن كان مؤلف التكوين غير مقرر إلا أننا نرى أن هذا السفر وباقى الأسفار الأربعة تكوَّن جزءا حيويا من التوراة ويبدو فيها موسى كالشخصية الأساسية ـــ ويقول ويلسن : « إن التوراة كما تُرى من الناحية التاريخية ومن زمن موسى تحقق بأنه هو كاتبها مع جواز أنها قد روجعت فيما بعد . وحتى الإضافات التى يقال أنها استكملت بها فهى موحى بها كباقى المكتوب فيها » كما أن الادعاء بوجود أصول سابقة اعتمدت عليها هذه الأسفار لا ينقض بالضرورة كون موسى كاتبها لأنه حتى لو صح هذا الفرض فإن استعانته بها فى بعض أجزاء من توراته إنما يكون تحت إشراف الوحى وهيمنته تماما .

وهكذا تشهد هذه الأسفار بأسلوبها ووحدتها وكمالها التام عن صدق وحيها وقيام موسى بكتابتها ، حيث يستحيل النظر إليها منفردة كما لا يمكن الاستغناء عن أى جزء منها ، وهكذا بالنسبة لكل أسفار الكتاب المقدس حتى أنه لا يظهر معنى وجمال كل سفر منها إلا فى ضوء تأمل توافقه ووحدته مع الكل ، وكأن كل سفر منها يستلم تعليم الآخر ويحتويه حتى أنه لا يمكن أن يفهم أحدها بعيدا عن علاقته بغيره ـــ وهكذا ترتبط هذه الأسفار معا كصورة متكاملة وذلك

بالنسبة لها ككل كما بالنسبة لعلاقة كل منها بالآخر !

• • •

أما الدخول فى مسألة هذه « المصادر » وتصنيفها والبحث عن مراجعها فقد اختلفت آراء النقاد أنفسهم فيها وتشعبت نواحى بحوثهم بشأنها ، لأن دراستها كما يقولون مسألة معقدة إذ هى تستلزم الإلمام التام باللغة العبرية وأساليب الكتابة والتاريخ .

وقد أدرك النقاد هنا أن روايات التوراة المتكررة التى سلفت الإشارة إليها إبتداء من قصة الخلق تختلف فيما بينها حول لفظ « الجلالة » فأحيانا تستخدم لفظة « يهوه » وأحيانا اسم « الوهيم » وأدى ذلك إلى القول باعتماد التوراة على مصدرين مختلفين ، لذلك قاموا بتقسيم المراجع إلى « يهوية » و « ألوهيمية » ، وقد أضافوا إليهما فيما بعد « المرجع الكهنوتى » الذى قيل بجمعه فى السبى وسموه قانون أو شريعة القداسة وهو المتمثل فى لاويين ١٧ ــ ٢٦ واعتبروه مصدرا ثالثا وادعوا بأن هذه المصادر الثلاثة هى أصل الأسفار الأربعة الأولى لأنهم جعلوا سفر التثنية مستقلا عنها وزعموا أن له هو الآخر مصدراً خاصاً به رمزوا له بالحرف الأول منه .

وأنشأ ولهوزن سنة ١٨٨٦ مدرسة لهذه المصادر محاولا إثبات إدعائه بأن أسفار موسى الخمسة إنما تنكون أصلا من هذه المصادر الأربعة التى رمز إليها بالحرف الأول من كل منها فتكوّن هذا الرمز من مجموع الحروف الأولى لها وهى JEPD وزعم أن هذه المصادر لم تظهر قبل عصر داود بل أن قوانين الخروج والتثنية لم تظهر بحسب

رأيه إلا بعد حركة الأنبياء العظام الذين عاشوا فى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد . ولقد عاب جنكل على مدرسة وهوزن توقفها عند حد هذه المصادر الأربعة فلربما ظهرت مخطوطة متأخرة زمنا لكنها تمثل تقليداً شفوياً غارقاً فى القدم ، وهذا هو منشأ الإعتقاد بأن هناك مصادر أخرى تبلغ خمسة أو ستة ، ومن ثم فقد قام النقاد بتقسيم هذه المصادر نفسها إلى أقسام ، وقد اعتقدوا أن وثائق المصدرين الأولين (JE) أى « اليهوى » و « الألوهيمى » كانت أولا أحاديث سماعية متواترة ثم دونت فى قصة واحدة جمع فيها المؤلف بين المصدرين متخذاً من « اليهوى » متنا استكمله ببعض عبارات المصدر « الألوهيمى » وهذا ما ذهب إليه ــ « استرك » الفرنسى فى حين رأى « ايوالد » العكس فقرر أن الأصل هو المتن الأولوهيمى وقد ألحق به اليهوى ، وهم ينسبون المصدر اليهوى إلى المملكة الجنوبية والألوهيمى إلى الشمالية عندما جمعت التقاليد فى السبى بعد سقوط السامرة . وكذلك القانون التشريعى المعاد كما يقولون والذى يتمثل فى سفر التثنية والذى أرادوا به إعادة بناء مجتمعهم بعد خراب السامرة ..

ويعنينا هنا أولا بالنسبة للمصدرين الأولين بالذات « اليهوى والألوهيمى » أن كاتب كل منهما مجهول ولا توجد لهما نسخ أصلية أو منقولة قائمة بذاتها حتى يمكن الرجوع إليها وبالتالى فإن مؤلفيها لم يصلنا عنهم شىء كما أننا لا نعرف عصر تأليفهما وهذا المطاف كله ينتهى بنا من جهة هذه المصادر إلى سؤال آخر هام ألا وهو كيف نشأت التوراة إذاً وكيف تجمعت عناصرها من هذه المصادر

المزعومة !؟ فقد ثبت أنه إذا ما جمعت مكتوبات هذه المصادر معا فإنها ستوجد غير مترابطة بل وأحيانا متناقضة حتى اضطروا أن يجعلوها متداخلة فى بعضها البعض ، وتضاربت أيضاً الاقتباسات المقول بأخذها منها ، وهذا كله كان نتيجة السير فى هذا الاتجاه الفرضى بحثا عن حل لمتناقضات مزعومة اجتهد النقد السيىء فى محاولة إيجادها فسلموا بأن هذه المصادر نفسها ليست وحدة تامة فقاموا بتجزئتها أيضاً إلى أجزاء ورمزوا إليها بأرقام ..

وحتى لو أضفنا إلى هذين المصدرين المصدر الثالث وهو « المرجع الكهنوتى » كما يقولون والذى ينسبونه إلى عهد السبى حين جُمعت فى أثنائه مع مجموعات « كتاب العهد » (خروج ٢١ ــ ٢٣) و « كتاب القداسة » (لاويين ١١ ــ ٢١) لاستخدامها عند بناء الهيكل الثانى بعد السبى ، وهم لذلك ينسبونه إلى عزرا الذى قام ــ على حد قولهم ــ بادماج هذه المجموعة من الأحكام فيما يسمونه الآن « القانون الكهنوتى » ، وقد أدمج بعضه فى سفر اللاويين ورغم توافر الأدلة على وضع شريعة الذبائح على يد موسى نفسه فإن ما ذكره المسيح عن القربان الذى أمر موسى بتقديمه فى (متى ٨ : ٤٨) إنما يشير به إلى أمر مدوَّن هنا فى وسط النظام الكهنوتى الذى يزعم بعضهم أنه أضيف إلى أسفار موسى بعد موته بقرون .

• • •

إن مثل هذه الترهات لم تقم على واقع بل على افتراضات وهى تسقط جميعها عندما نعرف أن مؤلفى هذه المصادر وهميون قد

افترض النقد الحديث وجودهم لتفنيد الدعوى الثابتة بنسبة الأسفار الخمسة الأولى إلى موسى الأمر الذى أرادوا أن يخلصوا منه إلى القول بأن هذه التوراة التى بأيدينا ليست لموسى ، ونحن نواجههم بعد كل الإستعراض السابق بسؤال حتمى مباشر وهو إذا لم يكن موسى هو كاتب هذه الأسفار فمن يكون مؤلفها إذاً !؟ وكيف جاز لهذه المدارس العصرية أن تبذل كل هذا الجهد الضائع فى نفى نسبتها لموسى فى مقابل هذه المتاهات التى لم تخرج لنا من ورائها بما هو أفضل من هذا الانتساب بل أخذتنا إلى عالم من المجهول والغيب لا يمكن أن يكون مستقرا لإيمان صادق ولا بديلا عن حق معلن !!

وأما استعمال اسم « ألوهيم » فى المواضع التى ورد بها فإنما جاء لبيان نسبة الله إلى الكون وأما استعمال اسم « يهوه » فهو لكونه يوافق نسبته تعالى إلى الإنسان فهو اسمه الخاص الذى يدل على الارتباط بعهد وهو يعنى « الموجود » أو « واجب الوجود » ؛ وقد جاء فى إفتتاح الخبر الثانى عن الخليقة الإسمان معاً نظير إسم واحد للجلالة فقيل « يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات » (تك ٢ : ٤) وذلك لبيان أن الإله المنسوب إليه الخلق فى الخبر الثانى هو نفس الإله الذى نسب إليه الخلق فى الخبر الأول !!

فليس المقصود إذاً من إستعمال هذه الأسماء الإلهية التميز بين مصادر مزعومة . وإنما هى ما يتفق مع تدرج الإعلان الذى قدمه الله عن ذاته على مراحل العصور ــ ترى من أين كان يمكن الحصول على مثل هذه الإدراكات السامية عن الله التى ينفرد بها كتاب الله دون الفلاسفة والمفكرين !؟

وإذاً فالاعتراض على صحة أى جزء من التوراة بناء على ما يزعمونه من ضرورة تطور ديانة العهد القديم أمر لا محل له وواجب الرفض ــ أما الازدواج فى الروايات فلا يعنى هو الآخر تعدد المصادر وإنما ذلك لوجود مقاصد معينة يعلنها التفسير عندما يكتشفها .

وفضلا عن ذلك فإن آثار رأس شمرا ويوغارت قد أكدت معرفة هذه الألقاب الإلهية « ألوهيم » و « يهوه » قبل تاريخ المصادر المزعومة بألف سنة وقيل إن أقدم هذه الآثار يصل إلى عصر يسبق موسى بسبعمائة سنة مما يجعل هذه المصادر الافتراضية خاطئة وغير سليمة .

• • •

وإذ قد فشلت نظرية « المصادر » وثبتت صحة الاعتراف بأن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة فإنه من السهل عندئذ مجابهة الاعتراضات الجانبية التى أثارها الجدليون العصريون ومنها مثلا ما أضيف عن موت موسى بواسطة كاتب آخر وهذا أمر متوقع بالطبع ولكنه لا يناقض قط الاتفاق العام عند اليهود والمسيحيين بأن موسى هو كاتب هذه الأسفار : ويظهر من شهادة الكتابات المعاصرة أن ناموس موسى قد اعتبر منذ ظهوره كموحى به إلهياً وله سلطان نهائى . ما أمر به كان واجب الطاعة وما نهى عنه كان واجب الامتناع . هذه هى الصورة التى يقدمها العهد القديم عنه إن قبلناها كما وردت فيه ! وقد بلغ التطرف أقصاه عندما تصور بعض الناقدين أن تسمية التوراة باسم ناموس أو شريعة الله فى بعض المواضع يتنافى

مع تسميتها باسم موسى . وهذا تناقض وهمى لأن الشريعة نسبت إلى الله كما إلى موسى لأن الرب هو المؤلف الإلهى وموسى هو المؤلف البشرى ــ ولقد كان تقسيمها الخماسى الحالى قائماً منذ البداءة عند ظهور أول نسخة عبرانية من هذه التوراة ــ وهذا التقسيم طبيعى وأصلى من موسى نفسه ــ وقد عرفت فى العهد القديم باسم « الناموس ــ سفر الناموس ــ سفر ناموس موسى ــ سفر موسى ــ ناموس الرب ــ سفر ناموس الله ــ سفر ناموس الرب ــ ناموس موسى عبد الله » وفى العهد الجديد تسمت باسم « سفر الناموس ــ سفر موسى ــ الناموس ــ ناموس موسى ــ ناموس الرب » وكل هذه التسميات تقطع بنسبتها إلى كل من موسى والله وأنها ظهرت منذ البداءة فى شكل سفر أو كتاب ... !

فإن كان يبدو بعد كل هذا أن هناك صعوبات فى اعتبار موسى نفسه كاتب التوراة فإن هذه لا يمكن أن تقارن بالصعوبات الهائلة التى تنتج عن هذه النظريات المستبدلة » وليس بذات اعتبار بالنسبة لذلك أن يكون موسى قد استخدم مصادر أو لم يستخدم .. فإن عملية القص واللصق التى أنشأتها نظريات التحليل هذه ليس لها نظير بالنسبة لأية كتابات أخرى وهى لم تكن معروفة فى الشرق مطلقا وإنما قد زحفت إليه من الغرب !

وأخيراً تُرى من يكون معَّداً أكثر من موسى لكتابة التوراة : إنه هو الذى كان لديه الوقت والتدريب والعلم ليفعل ذلك فمن كان يفضله فى إنتاج مثل هذا العمل العظيم !؟ أكثر من ٢٠٠ سنة من الدرس المتواصل لم تُمكَّن من إيجاد بديل يدعو للارتياح ويحل محل

وجهة النظر الكتابية المُكرَّمة بأن موسى نفسه كان المؤلف البشرى للتوراة . ولذلك فإننا لا نستطيع أن نحسن صنعاً أفضل من إقرارنا باعتبار التوراة من نتاج معطى الشريعة العظيم .

البـــاب الثـــالث
روايـات التقليـد والأسـاطير

لقد وضعت أهمية كبرى على قيمة التقليد الشفوى الذى افتُرض بأنه الأساس الخلفى لأسفار العهد القديم ولذلك ، نحاول هنا بحث أساس الكتاب المقدس من أصوله الأولى للوقوف على نوعية هذا الكتاب ـــ ومن المعلوم أنه قبل كتابته كان رسالة شفوية وذلك بالنسبة لكل من العهدين القديم والجديد على السواء وهنا بدأ يدور النقاش حول طريقة كتابته وكيف دُونت أسفاره بالشكل الحاضر ، وهل من الجائز بالنسبة لها أن يختار الروح القدس مصادر أياً كان نوعها مما يقال بأنه كان موجوداً من قبل ويضعها فى هذا الكتاب أم أن فى وحية المعصوم الكفاية لتكليف من قاموا بكتابته بطريقة مباشرة ؟ أى هل كانت مادة هذا الكتاب موجودة من قبل أم هى مادة أخرى لم يكن لها وجود قبلا ؟ وهل يمكن أن يكون الكتاب المقدس قد نقل عن أساطير أم هذه نقلت عنه ؟ وهل كان الوحى مباشراً أو مجرد إرشاد للانتقاء من قصص موجود قام الوحى بتحوير أسطوريتها ونسبها لله ... وهل يمكن بوجه عام الأخذ عن أساطير ونسبته لله ؟ وهل كانت قصص التوراة الأولى موجودة فى بابل وأشور ومصر وقام موسى بأخذها وتضمينها الكتاب المقدس ؟ وهل

أخذ موسى شريعته عن قوانين حمورابى مثلا ؟ وهل يمكن بذلك القول بامكانية أخذ أشياء وثنية وتقديسها ثم نسبها لله ؟

ثم ما هو حقيقة دور التقليد إلى عصر موسى ؟ والتقليد «Tradition» هو التسليم الشفاهى للحوادث والآراء والتعليم والممارسات على مدى الأجيال الأولى المتتابعة قبل التدوين الكتابى أو بدونه ــ فلقد كان الإيمان يُسلَّم أولا شفوياً عن طريق التقليد عبر الأجيال الأولى إذ لم يكن هناك شيء مكتوب بعد ، وتلا ذلك بالطبع « طور التثبيت الكتابى » عندما بدأت الكتابة فقام الأنبياء والرسل ابتداء من موسى بتدوين ما قالوه وعملوه بأيديهم أو على يد مساعديهم وخلفائهم وذلك لضرورة الاحتفاظ به عن طريق الكتابة ــ ولا يعرف أحد هنا بالضبط ما حدث ولا كيف تم التدوين وانتقل طور التقليد الشفوى إلى التثبيت الكتابى خصوصاً فى المراحل الأولى لهذا التطور !

• • •

ومن هنا واجهتنا هذه الأسئلة العصرية عن الحقائق الرئيسية التى تصف العالم من فجر التاريخ إلى دعوة ابراهيم (خلال ٢٥٠٠ سنة تقريبا) وهناك من يرى أنها منقولة من مصادر قديمة كان كثير منها روايات تناقلها الأنبياء عن الآباء والأجداد ، لأنه مهما تكن المكانة التى للكتابة إلا أنها ليست الأولى فالكلمة المكتوبة ظهرت بعد المنطوقة أى بعد الرواية الشفوية ــ ولقد تجلى التدين الفطرى أولا

فى إيمان الأجيال الأولى وكان ذلك عن طريق التقليد الوراثى الذى كان يعتمد على الاعلانات الشفوية التى كلم بها الله الآباء الأولين الذين عاشوا قبل أيام موسى والتى كانت تُضم تباعا إلى أن شعت أنوار الحقيقة الإلهية بواسطة الوحى المكتوب ــ وذلك لأن آدم أبا البشر ظهر متصلا بالله منذ اللحظة الأولى لوجوده ، واستمر فى إيمانه بالله على أساس الوعد الذى تلقاه منه تعالى باتيان « المخلص المنتظر » والذى انتشرت عقيدته بين الشعوب القديمة ، وفى تقاليدها الغابرة نميز صدى ما سمعه آدم من فم الله فقد حفظت لنا نقوشها الأثرية صورا تقريبية لحالة السعادة الأصلية التى كان عليها الإنسان الأول قبل سقوطه والتى أعلنت أنه سيرد إليها بوسيط يأتى من السماء !

وهكذا تسلمت الأجيال المتعاقبة إلى عصر موسى نور الحق بعضها من بعض وسمعت من آدم نفسه قصة الخليقة والسقوط وطريق الفداء والحوادث التالية حتى نسب إليه فيما بعد سفرا أبوكريفياً باسم « سفر آدم » فيه وصف للسموات السبع وملائكتها ، كما نسب سفر آخر لاخنوخ ولكنهما لم يعتمدا ضمن الوحى المكتوب لأنه وإن كان الله قد استخدم آدم ومن بعده أخنوخ ثم نوحا لحمل الرسالة لأجيالهم إلا أنه لم يكن قد أوحى بالأسفار المقدسة لهم ليس لأن الكتابة لم تكن قد عرفت بعد فحسب بل ولأن الوحى المكتوب نفسه كان لا يمكن أن يبدأ إلا بعد تنظيم الأمة التى تُكّلف بأمانة حفظه ... وحينئذ قبل موسى أقوال الله الحية ــ ولا يقال إنه جمعها ــ لأن ما كتبه ككليم الله إنما كان باعلان مباشر من الله إذ هو يتعدى حدود المعرفة البشرية . وشتان ما بين ما كتبه موسى بالوحى وما جاء فى

آثار الأمم القديمة عن قصة الخليقة مثلا وقصة الطوفان وغيرهما ، وقد أُكتَشف كتاب بابلى فيه وصف لهما كان موجودا فى مكتبة أحد ملوك أشور وهو أشور بانيبال وهو الآن بالمتحف البريطانى :

ومن الواضح جداً الفرق الشاسع هنا بين ما يسجله الكتاب المقدس عن هذه القصص القديمة كلها وبين ما يقصه الوثنيون ابتداء من الخليقة فشتان بين ما يقولونه عنها مما يدل على الجهل والتخريف ، وبين ما كتبه الوحى بأسلوب بسيط جداً ولكنه مملوء جلالا وروعة !

حتى إنه وإن كانت الألواح الأشورية والأساطير المصرية قد تضمنت روايات عن الخلق إلا أنها كما يقول الأستاذ بشنس خالية مما يحملنا على الاعتقاد بأن كاتب سفر التكوين قد استعار منها شيئا ففى تلك الاعتقادات القديمة أن السموات والأرض قد ظهرت فى الوجود فجأة ــ حسب الرواية المصرية وبدأ التاريخ دون أن تُخلق خلقا من قبل الآلهة المتعددة التى ينسب اليها ظهورها ــ أما الرواية البابلية فهى تصف عمقا مائيا قديما منه تولدت الأرض والجلد تحت اشراف مجمع الآلهة ثم يلى ذلك نزاع بين مردوخ والوحش تيمات ، ينتهى بشق الوحش وإنشاء غلاف للسماء بقصف منه وأخيرا نقرأ عن مشروع مردوخ فى خلق الإنسان ... بل إن أسطورة الخلق من نور وطين ــ حسب اعتقاد الإغريق ــ وهى أقرب الروايات إلى ما جاء فى التوراة إنما تعتبر مسخا لما جاء فى الرواية المقدسة ، أما فكرة إبداع الله للخليقة ــ وهى واضحة تماما فى سفر التكوين ــ فلم تكن معروفة لديهم ، وعلى ذلك فرغم كل ما يدعيه أصحاب

الآراء الحرة وغيرهم لم تكن الأساطير مصدر رواية الخليقة الواردة فى التكوين ، تلك الرواية التى تحتل مكانها الرفيع بلا منازع .. ومن ثم فإن القول بأن قصة الخلق إنما هى رواية محبوكة بمعرفة المصدر الكهنوتى عن اسطورة كانت شائعة فى التقليد القديم إدعاء باطل ينفيه منطق الترتيب التاريخى والدقة العلمية اللذين تتميز بهما قصة الوحى المقدس عن الخلق ويعتبر ما ورد بالأساطير إنما قطع صغيرة متناثرة منها غير متطابقة إطلاقا معها ! فما أمجد ما يقدمه لنا سفر التكوين هنا من أن العالمين بكل ما تشتمل قد بدأت من مشيئة الله ، والطبيعة لم تكن شيئا موجودا قبل الله ، ولم يكن للمادة أيضا وجود سابق ، وكما يقول سير جيمس جين الفلكى البريطانى العظيم : « إن كل شىء هنا بقوة فائقة يشير إلى حادث محدد أو حلقات من حوادث تم فيها الخلق فى وقت ما أو أوقات بعيدة المدى ولكن ليس بلا نهائية » !

أما ما سطره سفر التكوين عن الطوفان وهو مذكور فى موضعين آخرين فى الكتاب المقدس (مز ٢٩ : ١٠ ، أش ٥٤ : ٩ر١٠) فلا نجد فيه أسلوب المؤرخ أو الشاعر إذ هو يرتقى عن أن يكون بشرى المصدر ـــ ويهمنا مع ذلك وجود أخبار عن هذا الطوفان فى تقاليد وأساطير الأمم الوثنية مع اختلافها وتباعدها ـــ فقد أثبتت الآثار التى قدمها علم الحفريات حقيقة الطوفان وكثيرا ما وجدت على اللوحات الفخارية التى اكتُشفت فى بابل وأشور اشارات إليه وأحدثها ما اكتشفه دكتور لينورد فى حفرياته أسفل وادى الفرات حيث أسفرت عن وجود طبقة عميقة من الطمى تحت آثار الحضارة البابلية القديمة وتحت هذا الطمى وُجدت أيضا علامات لحضارة باقية

ذات بداية أقدم لم يسبق للمؤرخين تسجيلها وهذا المكتشف هو صاحب الرأى الصريح فى أن هذا السمك المتزايد من الطمى ما كان يمكن أن يترسب إلا بحدوث مثل هذه الكارثة التى دونها الكتاب المقدس .

ونحن لا نرى فى هذه الاكتشافات إلا صورة محرفة للأصل ــ تسجيلات الوحى ــ ولو أنه لا حاجة بنا لشهادات تثبت حق الكتاب وصدقة إلا أن البحوث التاريخية متى كملت تثبت صحة لكل ما هو مسجل فيه عن ذلك .

والمدهش حقا أن بين الآثار الكلدانية توجد عبارات تصف الطوفان قريبة ومتشابهة جدا لما جاء فى الكتاب المقدس لدرجة يمكن تصورها كشهادة تثبيت عجيب للمكتوب الوارد به .. !

وقد أراد الله بذلك أن يدحض عمليا قول النقاد بأن رواية الطوفان أسطورة مؤلفة قد جمعت بين روايتى الكاتبين : اليهوى والألوهيمى اللذين قال عنهما دكتور دريفر إنهما كتبا روايتهما فى العصور الأولى للملكية فجاءت الرواية البابلية عن الطوفان وهى ترجع إلى عصر إبراهيم ووقفت ضدهم وهى تتفق فى جملتها مع رواية سفر التكوين . وحيث إنها ترجع لزمن سابق لعصر موسى ، فهذا دليل على أن هذه القصة ليست مستقاة من مصادر عدة كما يزعمون ، فلا تستند رواية النقاد إلى أساس من الواقع وهى لذلك ليست إلا سرابا لغويا لا تدعمه الحقائق .

ولكن ليس معنى ذلك أن هذه الروايات المقدسة مأخوذة عن

الأساطير البابلية أو غيرها ولا أن كاتب التكوين قد محا تعمديا ملامحها الأسطورية وأعاد كتابتها بطريقته الخاصة فهو أمر غير معقول ولا يمكن تصوره ، وعلى العكس فالمعقول إلى أبعد الحدود هو الاعتقاد بأن البيان التكوينى يمثل أقدم المخطوطات بداية وهو يعتمد على الوحى ويرجع تاريخه إلى المهد البدائى للجنس السامى ولذلك فإن هذه المخطوطات المقدسة تحتفظ بخصائصها المميزة الأصلية ونقطة بدايتها الاعتقاد بإله واحد الأمر الذى مُحى تماما من الأساطير البابلية المنقولة عنها بعوامل التأثيرات الفاسدة التى أدت إلى الشرك بالله ، ومثل هذا الرأى يتفق مع الوضع الخاص للكتاب المقدس فى أن نور الله ما انطفأ يوما بين الناس !

• • •

ويذكر العالم الأثرى « ويحال » فى كتابه عن « اخناتون » اعتقاداته الفرعونية القديمة ومنها اعتقاده بقيام كبير الآلهة بخلق الكائن البشرى الأول من طين ، وأن ذلك الكائن وكان ملكا قد عانى من عضة حية سامة ، وأيضا بقيام الاخ الأول (قابين) بقتل أخيه الأصغر (هابيل) بل لقد أشارت بعض السجلات الوثنية إلى سبب ذلك معلنة لزوم الذبائح الأمر الذى لا يزال ساريا حتى اليوم فى فروض المتوحشين الدموية وذبائح الأبكار المحبوبين القاسية ، معلنا بذلك حاجة البشر إلى الفداء بالذبيحة كالطريق المرسوم من الله للاقتراب إليه تعالى طبقا لما أخبر به آدم بنيه وأحفاده !

ومن الغريب هنا الادعاء بأن التوراة قد أخذت عقيدة « الإله الواحد » عن العقيدة الاتونية التى نادى بها « إخناتون » الفرعون المصرى وهو ادعاء لا يستند إلى أدنى دليل ، فإن ما وصل إليه « أخناتون » وزوجته نفرتيتى يوم أن هجرا عبادة آمون فى طيبة (الاقصر) وقاما ببناء عاصمة جديدة لهما أسمياها أخت آمون آتون (تل العمارنة الآن) متخذين من عبادة « أتون » إله هليوبوليس دينا لهما معتبرين إياه الإله الواحد الذى يجب أن تهدم بإزائه عبادة الآلهة الكثيرة ــ ومنها الاله أمون كبيرها ومعنى « إسمه الآله « المستتر » ــ لا يمكن أن يكون له علاقة مباشرة مع عبادة الإله الواحد الرب ، فإن عبادة الرب تمتاز بمطالبها الخلقية وبإنعدام وجود الأصنام والتماثيل فيها ــ فضلا عن أنها عبادة إله واحد فى قرص الشمس وخالقها معا وقد أشار حزقيال إلى سجود بعضهم للشمس فى حالة الارتداد معتبراً ذلك ضمن أعظم الرجاسات التى يمكن عملها (٨ : ١٦) .

على أن هذه الروايات القديمة بأنواعها تشهد لصدق الحقائق التى دونها الكتاب المقدس وهى شهادة مقنعة يقدمها التاريخ لمعلناته بما يظهر تباعا من الآثار الفرعونية والفلسفة الإغريقية وهياكل بابل وبقايا آشور وسائر ما تخلف عن ديانات الهند والصين منذ أقدم العصور ، وقد حسب قوم بسببها أن معظم ما فى التوراة يستمد أصوله من مثل هذه الاساطير المصرية أو البابلية والأشورية حتى أسطورة برج بابل كما يقولون قد وجدت فى الآثار البابلية التى احتوت فيما بينها إشارات إلى « نمرود » وتأسيسه إمبراطوريته أولا من أربع مدن عاصمتها بابل ثم فتح آشور وهى من أربع مدن أخرى

عاصمتها نينوى وقد كشفت الآثار عن هذه المدن كما دلت على أن أباطرة ذلك العصر كانوا يحملون لقبا يدل على تحكمهم فى الأربع المدائن أو العواصم التى لبابل وأشور . فامتداد بابل نحو أشور مثبت إذاً فى الآثار وتأسيس أول وأعظم إمبراطورية بذلك عاصمتها بابل حيث حاول سكانها أن يجعلوا لها برجا يصل إلى السماء ، ويرجع تاريخ هذه الامبراطورية إلى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد .. !

ويذكر سفر التكوين عند نشأتها أصول الأمم والشعوب وتوزيعها على وجه الأرض (فى الاصحاح العاشر) لكى يبدأ منها سلسلة تكوين « الزرع المقدس ، إبتداء من دعوة إبراهيم .. إلى أن يصل ليوسف وفى قصته نحس لمسات مصرية واضحة منها دعوة ملك مصر بلقب فرعون فقط دون إضافة أى اسم وقد كانت هذه هى العادة المتبعة فى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد ، وحلق يوسف شعره قبل مثوله أمام فرعون وكانت هذه عادة التأدب والاحتشام بخلاف الفكرة السامية يومئذ التى كانت تعتبر إطلاق اللحية دلالة على الاحترام والتوقير ، وكذلك دعوة يوسف « بالرجل » وكان هذا لقب الوزير وهو الرجل الأول فى مصر ، وفى الصور المصرية المبكرة يظهر الوزير وحول عنقه قلادة ذهبية . ومن بعد فى موت يعقوب نجد كل شىء مصريا حقاً التحنيط » ثم مناحة المصريين على يعقوب سبعين يوما ثم إرسال يوسف لفرعون بستأذنه أن يذهب ليدفن أباه فى كنعان لأنه ليس من المعقول أن يقابله فى ثياب الحزن وأما وصف مراسيم الجنازة وكل ما تم فيها فانما يشبه ما نشهده على الآثار المصرية حتى قال كاتب ألمانى مقتدر : « إن

ما نراه على الآثار يصور لنا بصورة واضحة جنازة يعقوب » .

ولقد ظن البعض أن هذه الفصول كلها لابد أن تكون منقولة بالتواتر (التقليد) ودونت فى الكتاب المقدس نظراً لقيمتها الدينية بعد مرحلة طويلة من الإيداع الشفاهى ، ومن هنا قام دعاة النقد بالادعاء بأن الإسرائيليين مع مرور الزمن قد حاولوا صقل هذه القصص السماعية وإيجاد شيء من التجانس فيما بينها ، وقد وصل بهم الحال إلى الادعاء بأن الفصول الأولى من سفر التكوين خاصة تبدى آثارا بابلية كما أن السفر كله يعج بالمؤثرات المصرية القديمة ومع ان كل ما أشرنا إليه خاص بالاكتشافات الأثرية إنما يؤكد فقط صدق التاريخ المقدس المنسوج داخل مخلفات الشعوب القديمة كبابل ومصر فإن الإصحاحات الأولى من سفر التكوين كان لابد أن ترتبط أساسيا بتاريخ بابل : وإبراهيم نفسه كان بابليا كما أن تغرب بنى إسرائيل فى مصر كان رابطا حتميا قد ربطهم بالحياة المصرية التى لاصقوها ، فلا غرابة إن كنا نرى صور الأثار المصرية مجسمة فى سفر التكوين حيث عاش يوسف وموسى وما ورد فيه متصلا بالحياة المصرية هنا لا يمكن لغير شاهد عيان أن يصفه بمثل هذه الدقة مما ينفى عنه الاسطورية المزعومة ، فإن وجود الهكسوس (الملوك الرعاة) يفسره استقبال فرعون لإبراهيم ثم لإسحق وهذا يفسر لنا وصف فوطيفار بأنه كان مصريا (٣٩ : ١ ــ ٥) وأن يوسف طلب من اخوته أن يخبروا فرعون بأنهم رعاة فجعلهم رعاة لمواشيه ولقد أثبتت النقوش المصرية ليس فقط زراعة العنب بل عصره وتقديمه وكذلك تهيئة الخبز وتقديمه وفقا لما جاء فى سفر التكوين كوصف لعمل كل من رئيس

السقاة ورئيس الخبازين ، كما صورت أوزيريس وايزيس بالثور والبقرة ، مما يتناسب مع حلم البقرات ، وكذلك صورة العبودية على الآثار وبناء مدينتى فيثوم ورعمسيس اللتين يقال إن إخناتون هو الذى بناهما كتحصينات لديانته الجديدة !!

فهل الصواب بعد هذا كله مع الكتاب أم مع نقاده الذين قالوا لا يمكن أن يكون سفر التكوين قد كتب إلا بعد أيام موسى بل بعده بفترة طويلة بعد أيام صموئيل وإنه لم يكتمل إلا فى السبى البابلى ، وهنا تقدم علم الآثار بحُكمه وهو نهائى قاطع وقد أعطى فيه بكل وضوح وتأكيد شهادة بأن قصة يوسف المكتوبة هنا تعطينا صورة كاملة وتعكس بدقة تاريخ مصر فى تلك الفترة وهى ٢٠٠ سنة بعد إبراهيم و ٢٠٠ سنة قبل موسى !!

إلا أن شهادة الآثار هذه لا تعنى قط أن كاتب سفر التكوين قد نقل عن سجلات تلك الأمم لأنه كان يكتب باعلان مباشر من الله قد هيمن حتى على المعلومات التى يمكن أن تكون قد وصلته عن طريق التقليد وهذا واضح من الفروق الهائلة بين ما كتبه وما تضمنته تلك السجلات وإنما تدل فقط على أنه من المقنع تماما أن يكون لدى الأمم الأخرى تقليد عن الخليقة وغيرها حصلت عليه بالتناقل عن آدم وحواء لنسلهما بصورة شتى ، دون أن يكون ذلك التقليد مصدرا للكتاب المقدس لأنه انفرد بتسجيل الحقيقة كاملة بجلال روعتها التى تتميز به !

ويتحدث إيدرشيم عن الموقف بين الأساطير والوحى فيقول : « إن هذه ــ أى الأساطير ــ فى الحقيقة ما هى إلا بقايا الأعمدة

المحطمة لذاك الذى كان مرة هيكلا للحق بعد أن تناثرت واستحالت إلى تقاليد بشرية منذ أقدم العصور » ــ فهى إذاً بقايا الحق بين الناس فى التقاليد القديمة خلال الأجيال الغابرة ، على أن مرور الزمن قد زاد من فساد تلك التقاليد وجعلها خليطاً من الحقائق والخرافات وذلك بسبب تباعد البشر تدريجياً عن الله بمقدار ما تباعدوا عن الإعلان الإلهى الأول التام الصفاء والنقاء والذى هو مصدر الديانة الحقيقية التى آمنت بالله وحفظت عبادته منذ البداءة والتى لم تكن كنتيجة لنمو ثابت من تقاليد ماضية مشتركة بين شعب الله وغيره من الشعوب ، لكنها كانت نتيجة لما أعلنه الله عن أفعاله منذ البدايات الأولى وتمسك به إيمان شعبه ! وشتان بين هذا الموقف الذى يعلن الإيمان الخالص بإله واحد خالق سام حاكم فريد للكون وبين تعدد الآلهة الفظيع الذى ارتبط به النجاسة والانحطاط حسبما هو وارد فى أساطير الديانات القديمة بأسرها » .

هذا ينفى الادعاء الباطل بأن العبرانيين قد أخذوا عقائد وتقاليد البلدان التى عاشوا فى كنفها ، وأن هذا الأخذ المدعى به إما سببه ــ فى نظرهم ــ ما يشاهد فى بعض قصص سفر التكوين من تشابه بينها وبين كثير من قصص المؤلفات الدينية التى روتها الشعوب الأخرى مما دفع النقاد العصريين إلى القول بأن مدونات العبرانيين الواردة فى العهد القديم تخضع لقوانين التطور والتشكل التى تخضع لها الكتابات الأخرى ، الأمر الذى جعلوه يمتد إلى جوانب كثيرة من روايات الكتاب المقدس حتى قال بعضهم . « إن الأساطير لم يعرفها العهد القديم وما تسرب إليه منها إنما هو دخيل أجنبى مثل أسطورة حرب

يهوه مع التنين (اش ٢٧ : ١ ، ٥١ : ٩) وكذلك الحديث عن زهرة بنت الصبح الذى أراد أن يرفع عرشه فوق يهوه فهوى (اش ١٤ : ١٢) كما نجد حديثا عن الإنسان الأول الذى خلق قبل الجبال واستمع إلى الله ومجلسه الاستشارى ليسرق الحكمة والمعرفة (١ مل ٢٢ : ١٩ ــ ٢٢ أر ٢٣ : ١٨) وهناك من يظن أن شئول ــ وهى دار الموتى ــ حيوان يبتلع الادميين ولا يقدر عليه إلا يهوه فقط وهو الذى ينقذ الإنسان منه (مز ٤٩ : ١٥ ، ٨٦ : ١٣ ، أم ١ : ١٢ ، اش ٥ : ١٤ ، حب ٢ : ٥) ، ولذلك فإنهم اعتبروا التوراة مزيجاً من الخرافة والتاريخ موضوعا فى إطار المقدسات كوحى يعلو فوق الجدل والنقاش مع أنه ــ فى نظر هؤلاء النقاد ــ لا يعدو أن يكون مجرد مأثورات شعبية لأمم قديمة قد أخذها العبرانيون وأضافوا إليها من بقايا الحكايات التصويرية التى حفظتها ذاكرتهم ونسجوا من ذلك كله ملحمة ــ مثل ملاحم الشومريين والأكاديين فى العراق القديم وأساطير المصريين فى فجر تاريخهم ــ تختلط فيها حكمة الحكماء وشرائع الأنبياء بحكايات الأبطال الخرافيين وأساطير الأحداث !

ومن هنا إمتد نقد النقاد العصريين إلى كافة روايات الكتاب المقدس فاعتبروا المصارعة التى حدثت ليعقوب أسطورة ، وقصة شمشون الجبار مأخوذة من مشهد مماثل لبطل عراقى قديم معروف فى الملاحم البابلية إسمه جلجاميش العملاق فهم يذكرون من مناقبه أيضاً قتله الأسد على طريقة شمشون وهو قبل شمشون بنحو ٣٠٠٠ سنة ، ويعتبرون عصر القضاة حافلا بالمسامرات الخرافية والقصص المسلية

فهذا كله ــ فى عرفهم ــ إنما هو مجموعة حكايات ومسامرات وخرافات لاغير ، ويصل بهم الحال إلى اعتبار النبوة عن ظهور إيليا أسطورة والمسيح المنتظر أسطورة والقول بظهور العشرة أسباط بعد اختفائها أسطورة ...

ولاشك أن أصحاب هذا النوع من النقد لم يفطنوا إلى معنى هذه الاستعارات ومدلولاتها فحسبوها أساطير مستوردة ؛ مثلهم فى ذلك مثل الذين أنكروا سائر المعجزات ووضعوها فى نفس الاعتبار حتى إنهم حولوا جميع قصص الكتاب نظير الطوفان ، والمن ، والحية النحاسية ، ويونان والحوت إلى أساطير مع أن المسيح نفسه شهد لها بل إنه قد أشار الى ٢٠ شخصية من شخصيات العهد القديم مؤكدا بذلك حقيقتها التاريخية !

وبالإضافة فإننا قد وجدنا أن ما يبديه النقاد من اعتراضات لتفنيد قصص الوحى المقدس يتضح أخيراً أنه ناتج عن قصور فى معلوماتهم وابتعادهم عن الواقع ، ولازالت أبحاث الآثار تكشف عن خطر انتقادهم لصحة الروايات أو النصوص القديمة والتى يظهر عندما نسلط عليها أشعة البحث الدقيق بأدلته القاطعة وبراهينه الساطعة بأنها ليست أوهاما أو أساطير من صنع البشر !

هذا وقد ظهر فى العراق فى سنة ٧٦٠ حاخام هو عنان بن داود رأى المعتزلة يقررون عدم التأوبل على الحديث فأعجبته الفكرة ونادى بأن ما جاء فى روايات التقليد الشفوى ــ كالمشنا والتلمود ــ باطل ، وأن المعول كله على أسفار العهد القديم التى تعتبر الوثيقة

الوحيدة المكتوبة المنزلة الواجبة القراءة ويسمونها « المقرا » أى الشريعة المقروءة ، وحازت دعوة عنان نجاحا كبيراً واتبعه أنصار كثيرون تكونت منهم طائفة اليهود « القرائين » وراحت تعارض الطائفة التقليدية القديمة التى تسمى طائفة « الربانيين » ...

ومع أن الطوائف التقليدية فى المسيحية قد سارت على درب التقليد الشفوى فأضافت الى أسفار العهد القديم كتبا أخرى غير شرعية كما حدث فى مجمع ترنت عام ١٥٤٦ الا أن البروتستانت لم يقبلوا ذلك ولم يأخذوا إلا بشرعية أسفار العهد القديم العبرى فقط ، ورفضوا بذلك اضافة أى شىء عليها وصاروا يُعرفون بالطائفة الانجيلية لتمسكهم بالأسفار المكتوبة المعتمدة ورفضهم التزيد عليها بأى نوع من التقليد الشفوى ولم يزل هذا موقفهم منذ أن اتخذوه فى مجمعهم الذى عقدوه فى عام ١٥٢١ .

أما المدرسة المتحررة التى ظهرت فى الوجود بعد عصر الإصلاح فقد نادت بضرورة دراسة التقليد الشفوى لتفهم الكتاب المقدس وتاريخه ، وبعد أن قامت بتطبيق ذلك على العهد القديم كما رأينا ، اتجهت إلى العهد الجديد لتطبيق هذه النظرية فى مجاله وخاصة على الأناجيل وذلك بحجة القاء الضوء على فترة التقليد الشفوى السابقة لكتابة الأسفار المقدسة .

ولقد كان من وراء تفسيرها لمادة الأناجيل حول يسوع تفسيرا طبيعيا أو عقليا وفقا لقانون التطور أن أنكرت المعجزات المعلنة فيها واعتبرتها أساطير ، بل لقد بلغ الحال ببعض نقادها إلى إنكار وجود يسوع التاريخى وظنوا قصته أسطورة myth ــ ولقد كان معنى

الأسطورة حسبما هو وارد فى القاموس الخرافة والحكاية التى ليس لها أصل وهو ينطبق على ما ارتآه البعض مثلا فى محاولة اعتبار ديانة أوزيريس تمهيدا لما جاء فى الإنجيل ، إلا أن القصة المصرية ، قصة الإله أوزيريس التى تقول إنه هبط من السماء وتجسد وعندما مات بدأت زوجته إيزيس تعمل على إعادته إلى الحياة بالسحر هى فعلا أسطورة وخرافة ، أما سجل حياة المسيح وموته وقيامته فهو سجل تاريخى حقيقى واقعى ، وكذلك فى أسطورة الثلاثى المتعددة الآلهة من اوزيريس وإيزيس وحورس ، فإن ثالوث طيبة هذا إنما يختلف اختلافا جوهريا عن أقانيم الله الواحد المعروفة لدينا بالثالوث الأقدس ، ومن ثم فلا يؤخذ من ذلك أن المسيحية أخذت اعتقادها فى الثالوث مثلا عن الوثنية كما زعم البعض وإلا لكان مجرد اعتقاد أى ملة بإله هو مأخوذ عن الوثنية أيضا وغير ذلك من الحقائق وهذا واضح البطلان لأن ذلك انما يدل فقط على أنه بعد زيغ الإنسان عن الإله الحقيقى حفظ رمزه فى معبوداته التى زاغ وراءها ، ومعلوم أن الحق فى العالم أقدم من الباطل !!

لكن المدرسة الحديثة أعلنت أن الأسطورة لا تعنى بالضرورة خرافة أو شيئا لم يحدث بل تعنى لغة خاصة يعبر بها عن حقائق معينة عندما تعجز اللغة العادية أن تتكلم عنها ، فهى القصة التى يرويها القدماء تحوى أفكارهم أو تصوراتهم عن نشأة الكون وكيف تسلطت الآلهة على العالم ، وكيف تناحر الخير مع الشر مع محاولة تعليل الظواهر الطبيعية والكشف عن أسرارها ، وقد امتدت هذه اللغة الخاصة إلى حقائق الإنجيل نفسه : فانكرت ليس فقط ما هو معلن

فى الكتاب المقدس عن تكوين الكون بل حتى الإعلان الذى جاء به المسيح اعتبرته أسطوريا ، فكل معلناته تراها بعيدة عن اللغة العادية ومما لا يمكن فهمه ولا قبوله ولا تقديمه فى العصر الحديث بسبب أسطوريته أى لغته التى لا تتفق مع الأسلوب العلمى ولا يقدر الإنسان أن يعبر بها عن الحقائق باللغة العادية المفهومة ويقدمها لجيل العصر الحاضر ... وكانت هذه الحركة وما انقادت إليه هى الدافع الأكبر لظهور كتاب « قضية يسوع التاريخى » لألبرت شويتزر ، وقد هدم به كل هذا التفكير المتحرر !

• • •

ومع ذلك فقد اعتبر بعض النقاد العصريين رسالة التلاميذ عن « يسوع التاريخى » التى نقلت إلينا هى كما تصوروه عنه بأسلوبهم الخاص وهى أساس هذه الأسطورية ، الأمر الذى دفع بهم إلى بحث مصادرها فى الروايات الشفوية التى حسبوها مصادر لما كتبوه ودونوه عنه : يستندون فى ذلك إلى الاستهلال الذى قدم به البشير لوقا بشارته وهو فى نظرهم يصلح لأن يكون مقدمة لدراسة أصول البشائر إذ يبرز منه أن كُتَاباً عديدين قد حاولوا تدوين قصص معينة عن يسوع المسيح عن مصادر قد نقلها فى الأصل شهود عيان ..

ويتضح من أدلة العهد الجديد أنه بعد قيامة المسيح سار تلاميذه على طريقة التعليم الشفوى بواسطة انشاء « مدارس » فى بعض المراكز المهمة وراء أورشليم مثل أنطاكية وكورنثوس وأفسس وغيرها . وكان

فى كل منها نفر من المعلمين لتعليم المهتدين وتلقينهم أصول الدين الجديد ـــ التى كانوا يلقنونها للمهتدين والباحثين بعد أن تسلموها هم أنفسهم وكان كثيرون منهم قد استلمها من الرسل وشهود العيان أنفسهم ـــ ولكن هذا التقليد الشفوى لم يصلح كمصدر عام للأناجيل لأنه عجز عن توضيح التشابه اللغوى الدقيق بين الثلاثة الأناجيل الأولى الأمر الذى يرجح بالضرورة وجود مصادر مكتوبة حيث يصعب هنا الاعتماد على التقليد الشفوى المتغير غير الثابت !

ومن المعلوم أن يسوع نفسه لم يكتب شيئا ولا فكر أتباعه فى البداية فى تدوين قصة مكتوبة عنه لتسليمها للأجيال اللاحقة وهم لم يفكروا فى ذلك لأنهم كانوا ينتظرون عودة المسيح فى الحال . ومن المرجح أن البعض منهم فكر فى جمع مجموعات من أقوال يسوع وأفعاله لاستعمالهم الخاص فى البداية . وظهر شبيه بذلك فى أوراق بردى أكتشفت فى مصر ترجع إلى القرن الثانى تشتمل على بعض أقوال مختصرة تبدأ بعبارة « يقول يسوع ... » وكذلك رأى المعلمون أنه ليس ملائما أن يركنوا إلى ذاكرتهم فى استذكار الحوادث والقصص فبدأوا فى تسجيلها لاستخدامها فى نشر تعليمهم والإجابة عن أسئلة المهتدين . ومن هنا بدأت القصص التى كانت تُروَى عن يسوع المسيح تُجمع فى كتب صغيرة . ويعتقد كثير من علماء العهد الجديد أن هذه الكتب الصغيرة كانت مجموعات من آيات العهد القديم التى تمت فى يسوع أو من أقواله فى الأرامية كتلك التى نشاهدها فى بشارة متى والتى تبدأ بعبارة : « كل هذا كان لكى يتم ما قيل ... » وفى بشارتى متى ولوقا مواد كثيرة متشابهة من أقوال يسوع وبعض

القصص مما لا أثر له فى مرقس ، وقد أطلق العلماء حرف Q على المواد المشتركة بين لوقا ومتى وغير الموجودة فى مرقس (الحرف Q هو الحرف الأول من الكلمة الألمانية Quelle التى معناها مصدر) ويتفق أغلب العلماء على أن المواد المشار إليها بهذا الحرف مأخوذة من وثيقة قديمة العهد قد عنى بعض مشتملاتها بالإجابة عن بعض الأسئلة الأولى التى واجهها المعلمون الأولون فى الكنائس المحلية ــ ولقد كتب متى باللسان العبرى كما يقول بابياس وكلٌّ ترجمها حسب قدرته . ثم إن الأقوال لقب ملائم للوثيقة الشاملة لأقوال يسوع . ومن المرجح أن الوثيقة Q ومجموعة آيات العهد القديم الإثباتية كانت ضمن المصادر التى أشار إليها لوقا فى مقدمته . ولعل Q هذه من وثائق كنيسة انطاكية وربما أدمجت فى البشائر الثلاث التى بأيدينا الآن .

وحوالى سنة ٦٥ م اشتدت الرغبة فى روما لتدوين سيرة لمؤسس المسيحية وقد كان فيها الرومان واليونان ــ وهم عكس اليهود ــ يشغفون بالتراجم والسير ، فظهرت بذلك بشارة مرقس وهى تحتل مكانة متوسطة بين المجموعات الأولى للاقوال والقصص المطولة فى بشارتى متى ولوقا اللتين كتبتا بعد بشارة مرقس بخمس عشرة سنة بعد أن ثبت نفعها ، وهما ترميان إلى تكملة رواية مرقس بإضافة باقى المواد التى تقتضيها السيرة عادة والتى لم تُدون فى مرقس من قبل . ثم كتبت البشارة الرابعة فى أواخر القرن الأول وتوسعت فى العقيدة الخاصة بالكلمة «Logos» محاولة بذلك تقديم المسيحية للعالم اليونانى المثقف بطريقة مقبولة لديه ، وكذلك أكملت ما كان ناقصا فى البشائر الثلاث الأولى .

وعلى مر الزمن احتلت هذه البشائر الأربع مكانة فريدة فى الكنيسة واعتبرت أسفار الإنجيل القانونية بعد أن ثبت قصد كل منها ووجهته . وبدأ بذلك تكوين مجموعة قانونية رسمية لأسفار العهد الجديد وكان ذلك فى البداية لسد الحاجات المحلية العاجلة التى سبق الاشارة إليها ، وبالأكثر لمجابهة كتب الهراطقة التى بدأت فى الظهور وكذلك البشائر الأخرى التى استُبعدت لعدم قانونيتها فكان تكوين هذه المجموعة القانونية الرسمية من هذه الأسفار تطورا طبيعيا دعت اليه الحاجة وفى هذا يقول الدكتور ستريتر : « بما أن الوحى لا يكون كاملا ما لم يُدوَّن تدوينا صحيحا ، فقد كان منطقيا من البدء أن يتجه التفكير إلى تكوين العهد الجديد لتكملة العهد القديم وكانت الكنيسة من الوجهة العقلية ستصبح فى مركز ضعيف ما لم تكن قد عملت على تعزيز عقائدها بمجموعة من الأسفار المقدسة ، لا تقل من حيث قانونيتها وصدق مصدرها ووحيها عن أسفار التوراة اليهودية القديمة . ومع أن تكوين هذه المجموعة كان ضروريا فإن القوم لم يحسوا بالحاجة اليها إلا ببطء و لم يخلعوا عليها الصفة القانونية الرسمية إلا بعد أن تقادم عهدها وبلغت درجة عليا من الشهرة وقوة السلطان . أما هذا العمل ذاته أى خلع الصفة القانونية فليس هو الذى جعلها أسفاراً مقدسةً بل هو بمثابة الاعتراف بقدسيتها التى تكون قد تأصلت بما أحاط بها من براهين داخلية وخارجية » .

البـــاب الرابـــع
اللغـــات الأصليـــة والترجمـــات

يُعتبر الأصحاح العاشر من سفر التكوين جدولا لا نظير له على الإطلاق لبيان أصل الأمم ومنشئها ، وهو أدق سجل قد أيدته تماما كل الاكتشافات الأثرية . ويظهر من الآيات ٨ ــ ١٠ أن الحضارة البابلية كانت أقدم الحضارات وتليها الأشورية وهى مأخوذة عنها لأنها أحدث منها ، ويبدو أن حضارات مماثلة قد ظهرت فى نفس الوقت فى مصر واليونان وآسيا الصغرى حيث وجدت الأنهار باعتبارها سبيل الحضارة ووسيلة الاتصال والحركة ، وهكذا ظهرت الحضارات السومرية والفرعونية والإغريقية ..

ويتبين من تكوين ١٠ : ٦ سبب التشابه بين حضارتى مصر وبابل حيث تأسست مملكة نمرود من الكوشيين ، وكان كوش بن حام أخاً لمصرايم مؤسس مصر ، وقد أخذ الكوشيون ديانتهم من مصر .

وواضح من الجدول المشار إليه أن البابليين قد أنشأوا أول حضارة فى فجر التاريخ : وتوضح الإكتشافات مقدار ما كانت عليه مملكتهم من حضارة وثقافة عالية فى عصورهم الأولى التى اتصلت بعصر إبراهيم ــ فقد اكتظت المدن وتحضرت بالفنون والآداب والكتب

والمكاتب ، حتى عندما جاء عصر إبراهيم كانت هذه البلاد قد بلغت الذروة القصوى فى المدنية ــ وهذا يدلنا على أن الشعب القديم لم يظهر فى عصر مظلم من عصور الهمجية ولا فى زمن لم تكن فيه الكتابة معروفة بل عاش حيث ازدهرت الحضارة ... وقد بدأت بصناعة الكتابة فى شكل رسوم وصور لتمثل الأشياء التى يتناولها الإنسان أو الأعمال التى يقوم بها ، ثم أستُخدمت فيما بعد لتمثل المقاطع وفى النهاية أستخدمت لتمثل أصواتاً منفردة هى التى ظهرت فيها الأبجدية الأولى ، وهكذا بزغ فجر المدنية باختراع الحروف الهجائية ، ويبدو أن ذلك قد تم عند البابليين والمصريين والحيثيين فى وقت واحد تقريبا بدليل ما شهدت به الآثار والحفريات عن ذلك ... وكانت الكتابة تُنقش أولا على أحجار ثم انتقلت إلى ألواح خزفية (طينية) ومن بعد توصلت مصر الفرعونية إلى الكتابة على أوراق البردى وكان يمكن الكتابة عليها بالقلم والحبر ، وفى نهاية المطاف قبل اختراع الطباعة الحالية حلت الرقوق وهى من جلود الحيوان محل البردى ، وكانوا يلصقون طرفى الرق على أسطوانتين يُلف (أو يُدرج) عليهما ، ولهذا سمى « دَرْجاً » **وعلى هذه الأدراج كتبت جميع نسخ العهد القديم المخطوطة وكذلك نسخ العهد الجديد الأولى وأيضا نسخه المنقولة عن النسخ الأصلية المكتوبة على ورق البردى .**

ورغم تعدد اللغات حينئذ فقد كان لكل جماعة لغتها التى يتفاهمون بها حتى أور مدينة إبراهيم مع أنها كانت فى أرض ما بين

النهرين إلا أنها كانت تحتفظ بلغة خاصة بها ، ولقد كان لجوديا ملكها مكتبة فى تل ــ ليل ونتيجة حسب فيها أعماله وهى موجودة فى متحف اللوفر ــ إلا أنه كانت فى المنطقة كلها لغة « دولية » للتفاهم بها فى العلاقات التجارية والمراسلات الدبلوماسية وتلك كانت لغة « الأكاديين » وهم سلالة « أكد » الوارد ذكره فى تكوين ١٠ : ١٠ ــ ويُعرفون بالسومريين ، وكانت لغتهم تُكتب بالخط المعروف «بالمسمارى» وكان البابليون يستعملونه لا فى الشئون السياسية والتجارية فقط بل حتى فى أتفه الأمور بين عامة الشعب كما ثبت من الألواح الطينية التى أكتُشفت فى بابل مما يثبت أنهم كانوا ملمين بالقراءة والكتابة ويتخابرون بالرسائل المكتوبة مع بعضهم وكانت لهم مدارسهم ومكتباتهم . حتى البلاط المصرى (كما يُفهم من ألواح تل العمارنة وهى ترجع إلى عام ١٨٨٧ ق .م .) كان يستعمل تلك اللغة ، حتى إن تلك الألواح قد كشفت عن الرسائل التى تبادلها إخناتون مع أمراء كنعان من بيبلوس (جبيل) والقدس وقد وُجدت مكتوبة باللغة البابلية أى بالخط الأكادى المسمارى ، بل إن امبراطورية الحيثيين قد أظهرت الكتابات الهيروغليفية (المصرية) والنقوش (البابلية) المكتوبة بالخط المسمارى أيضا .. ومهما يكن من أمر هذه اللغة فالذى يعنينا هنا هو حقيقة انتسابها إلى اللغات السامية وهى تُعتبر من أقدم لغاتها ولذلك فهى عسيرة التحليل ــ ومن أهم اكتشافات العصر صخرة كردستان التى وُجد مكتوب عليها كتابة لداربوس ملك الفرس ــ خليفة كورش سجل فيها انتصاراته باللغات البابلية ــ الخط المسمارى ــ والأشورية

والفارسية ، وهذه الأخيرة أعطت المفتاح للغتين السابقتين ففتحت أمام العلماء كنوز مكتبة نينوى وغيرها من الكتابات الأخرى التى كُتبت بالخط المسمارى الذى كان مستعملا قبل إبراهيم بأجيال عديدة من عيلام (إيران) شرقا إلى البحر الأبيض المتوسط غربا ومن بحر قزوبن شمالا إلى بلاد العرب جنوبا ولقد وجد هذا النوع من الكتابة ليس فى ألواح تل العمارنة فقط بل فيما اكتُشف وعُرف ببقية ديوان خارجية مصر أيام الفراعنة ــ ومن هنا نرى أن المصريين كانوا يقرأون ويكتبون اللغات الأجنبية بسهولة بل لقد أثبتت بعض النقوش السامية وجود علامات فيها استعارتها من الهيروغليفية المصرية !

هذا هو العصر الذى كان النقاد يصفونه من سنوات قليلة مضت « عصر الجهل والامية » وكانوا لذلك يعترضون على امكانية كتابة الأسفار الأولى من الكتاب المقدس فى ذلك العصر المبكر كما يدعون بزعم أن الكتابة لم تكن معروفة فى عهد موسى . ومثل هذا الأعتراض يبدو سخيفا حقا فى هذا العصر الذى فيه تزخر متاحف العالم بعدد لا يُحصى من الكتابات القديمة والتى يرجع تاريخها لا إلى عصر موسى فقط بل إلى ما قبله بمئات السنين . فإن البعض منها فى أشكال أسفينية يرجع تاريخها إلى ما قبل سنة ٢٥٠٠ ق . م . وفى أشكال هيروغليفية يرجع تاريخها إلى سنة ٣٠٠٠ ق . م . مما يثبت معرفة الشعوب القديمة لفن الكتابة وأن انتشارها فى تلك العصور كان من الأمور العامة !

ويقول ويدك فى كتابه « الأصل الآرى للأبجدية » : إن الأبجدية كانت تُستعمل منذ أزمنة ترجع إلى ما قبل أيام موسى فقد استعملها

السومريون فى الأزمنة الأولى المعروفة كما وجدنا فى النصوص الهجائية تلك العلامات الخاصة بالقيم الأبجدية ، التى قد أصبحت الآن الحروف الأم لحروفنا الأبجدية . ولكنهم لم يتهجوا الكلمات بمثل تلك العلامات الأبجدية البسيطة بل مزجوها بمجموعة كبيرة من العلامات الهجائية الزائدة التى غالباً ما تحتوى على اثنين أو أكثر من الحروف . وبالرغم من ذلك يبدو أن السومريين الأولين قد تهجوا بعضاً من كلماتهم بالأبجدية حتى فى تلك الأزمنة المبكرة . »

والإحتمال الأول فى علاقة هذه اللغة بالتوراة يذكره دكتور نافل بقوله : « إن موسى كتب الأسفار الخمسة بالخط المسمارى على ألواح طينية حيث هناك من يرى أن وراء النص العبرانى لبعض أجزاء العهد القديم يوجد نص أقدم بلغة ألواح تل العمارنة ـــ أى بهذه اللغة الأكادية (البابلية) » وقد أثبتت ألواح رأس شمرا بساحل لبنان وجود كتابة بطريقة الخط المسمارى مكتوبة ليست بإشارات هجائية بل بالحروف الأبجدية التى تحوى ٢٨ حرفا : ويقول شيفر : « إن هذا النص الأبجدى قد كُتب بطريقة حسنة تدل على أنه كان فى الاستعمال لفترة طويلة قبل ذلك الزمان ، ويصفها بأنها أبجدية تامة للغاية ، ويقول إن لغة هذا النص لها صلة وثيقة باللغة الفينيقية وهذه أيضاً لها صلة وثيقة باللغة العبرية قد كشف عنها الحجر الموآبى المكتوب حوالى سنة ٨٦٠ ق . م . بطريقة الترتيب الأبجدى الذى يتكون من ٢٢ حرفاً هى الأبجدية العبرية بحروفها الفينيقية القديمة وهى تختلف

عن الحروف العبرية الحالية ــ وقد استخدم السامريون هذه الكتابة القديمة فى كتابة أسفار موسى الخمسة فأصبحت لديهم نسخ من هذه الكتابات قبل أن تبطل العبرانية القديمة فى السبى البابلى ويتحول اليهود إلى الارامية أو اليونانية ، وهكذا امتلك السامريون أسفار موسى الخمسة باللغة العبرية القديمة واحتفظوا ــ بسبب إنعزالهم عن اليهود فى عصر نحميا ــ بنسخ مكتوبة بهذه اللغة معروفة باسم « الأسفار الخمسة السامرية » وهى تلقى كثيراً من الضوء على النصوص العبرية القديمة ، مثل الترجمة السبعينية التى نقلت عن تلك النصوص القديمة عينها ــ ويُدون يوسيفوس أن كاهنا يهودياً يُسمى منسى قد تزوج بابنة سنبلط الذى كان رئيساً أو قائداً سومريا ، ولما طلب منه نحميا أن يتنازل إما عن زوجته أو كهنوتة تنازل عن الكهنوت ، فقدم له سنبلط وظيفة رئيس كهنة السامريين ووعده بتشييد هيكل على جبل جرزيم فقبل منسى هذا العرض وأمد السامريين بالمخطوطات التى أعطت لهم نسخة جيدة من أسفار موسى مكتوبة باللغة العبرية القديمة ومن ثم فإن أصلها يرجع إلى وقت تأسيس الهيكل السامرى حين أتى بها الكاهن الإسرائيلى المتحول (٢ مل ١٧ : ٢٧ و ٢٨) وقد وُجدت متفقة مع الترجمة السبعينية أى أنها كانت توافق للنسخة التى استخرجت منها .

ويقول مكلستر إن التوراة بهذه اللغة العبرية القديمة كانت موجودة فى زمن يربو على ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، بينما يقرر الأب مونتيت بأنه قد اكتشف فى حفريات بابل حجراً مكتوباً عليه باللغة السامية القديمة تاريخ كتابة الكتاب المقدس العبرى وهو يعزو كونه معاصراً

لأيام رمسيس الثانى . وتأخذنا اكتشافات سير فلندرز بترى فى معبد سيرالوت خطوة للأمام حيث نتعلم منها أنه فى شبه جزيرة سيناء قد وجدت نقوش بالحروف الأبجدية العبرية يرجع تاريخها إلى عصر موسى ، ومع أنها كاملة التطور إلا أنها أبسط من تلك التى كانت مستعملة فى رأس شمرا ، وقد أمدتنا حفريات لخيش فى الجنوب الغربى من فلسطين بالنصوص التى كانت تتوسط ما بين أبجدية سيرالوت وأبجدية بابل فى رأس شمرا من ناحية أخرى وذلك بالنسبة إلى تاريخها وأشكال حروفها الأبجدية . وقد أدخل يشوع هذه الحروف العبرية إلى فلسطين عند فتحه إياها وكانت الكتابة قد انتشرت إلى حد عثوره على مدينة فيها باسم « قرية سفر » أى « مدينة الكتب » كانت تجمع فيها هذه الكتابات القديمة .

• • •

أما عن **الاحتمال الثانى** فى علاقة التوراة باللغة المصرية ـــ الأمر الذى دفع أحدهم بأن يكتب كتابا بعنوان « التوراة الهيروغليفية » ، فيكتب عنه الأستاذ جويدا فى كتابه : « لغة التوراة وعلاقتها باللغة الهيروغليفية قائلا : « من المواضيع الحديثة والهامة فى مناقشة تاريخ الكتاب المقدس الوقوف على حقيقة اللغة التى كتبت بها التوراة ـــ الأسفار الخمسة الأولى ـــ هل هى لغة عبرية متمصرة ؟ « إن كان نعم فبالتأكيد يكون كاتبها لابد أنه يتقن كلتا اللغتين وقارئوها يعرفونهما أيضاً . وقد أثبت فى بحثه أن الحروف المصرية التى وردت فى قصة يوسف وتاريخ سفر الخروج اتفقت بكل دقة مع المميزات

اللغوية المصرية . حتى لقد وُجدت بعض الكلمات المصرية فى أسفار موسى الخمسة دون توضيح معناها دليلا على أن الأشخاص الذين كتبت لهم يفهمون اللغة المصرية . فكلمة « أبرك » ومعناها الحرفى « أركع » قد حيرت العلماء زمنا طويلا لأنهم كانوا يظنونها كلمة عبرية والحال إنها ليست كذلك فهى كلمة مصرية ، وكانت مألوفة للاسرائيليين وهى لاتزال متداولة فى اللغة الدارجة فى مصر إلى الآن ، فالعربى عندما يريد أن ينيخ جمله يقول له « أبرك » . كما أن الأسماء القديمة التى اشتهرت بين الاسرائيليين أكثرها مصرى كحفنى وفينحاس وهو من بنحسى أى « النوبى » .. واسم موسى (ربما كان من مسو ومعناها مولود من) مثل رعمسيس أى مولود رع ولقد ظن البعض لهذا السبب أن توراة موسى هيروغليفية الأصل لأن العبرانيين وإن كانوا قبائل سامية الأصل كالأراميين فى البوادى السورية العراقية والأدوميين فى الأردن إلا أنهم كانوا يتكلمون لغة الشعوب المضيفة فهم فى بابل أثناء الأسر يتكلمون اللغة الآرامية حيث منطقة النفوذ الآرامى ، وعلى نفس القياس كانوا ولاشك يتكلمون المصرية (الهيروغليفية) وهم فى مصر ... وواضح أن مثل هذا الزعم لا يصل إلى أصل اللغة العبرية منذ ظهور الشعب الناطق بها فى التاريخ ، أما أنها لغة أصلية وليست منقولة فهو أمر مؤكد إذ أنها تتميز بالأسلوب الطبيعى الذى يتصف به الأصل بخلاف الترجمات التى تُنقل من لغة أخرى ... وعند بحث أصل هذه اللغة ــ وهى إحدى اللغات السامية ــ قد وجد بأنها غير المصرية القديمة (الهيروغليفية) وهى غالباً لغة قريبة من العبرية الحالية المعروفة عندنا ...

ومن المؤكد أن موسى كان يعرف الهيروغليفية ــ لأنه ولد فى مصر ونشأ فيها وتثقف بثقافتها وتدرَّج فى مختلف الوظائف العسكرية حتى يحدثنا يوسيفوس عنه أنه كان قائداً فى الجيش المصرى ويعتبره فرويد عالم النفس أميراً مصريا وأنه تولى حكم أرض جاسان من قبل الفرعون اخناتون وأنه خرج مع الخارجين إلى سيناء ليواصل حياته المصرية بعيداً عن استبداد الفرعون ــ ولكن الادعاء بأنه لم يكن يعرف غير هذه اللغة المصرية القديمة وأنه لذلك كتب التوراة بها لا يقوم على أساس : فقد قام سير فلندرز بالبحث فى هيكل سيرابيت بسيناء وهو قريب من مناجم معينة حفرت وقت الخروج . وكان واضحا أن العاملين فيها لم يكونوا مصريين وقد بنوا هيكلا فى مكان عال كانوا يتعبدون فيه واستعملوا مذابح للبخور والاغتسال وكانوا يقدمون الذبائح والمحرقات وهم نسل إبراهيم .. الذين تغربوا فى مصر وواظبوا فى عبادتهم على التقاليد القديمة ، وهذا الاعتقاد تؤكده النصوص التى تم اكتشافها هناك والتى ترجع فى تاريخها إلى فترة الخروج وهى قد كتبت بالكتابة الأبجدية التى تشبه الحروف العبرية القديمة متأثرة بالعلامات أو الإشارات الهيروغليفية المصرية ، ومع ذلك بقيت اللغتان منفصلتين ومتميزتين ومما يثبت عدم ارتباطهما أن يوسف كان يتكلم مع إخوته بترجمان ، مع أنه كان يفهمهم لأنه منهم ويعرف لغتهم ..

على أن النتيجة التى نصل إليها تلقائياً هى أن كاتب الأسفار الخمسة هو موسى وأن الذين كتبت لهم هم الإسرائيليون الذين قادهم هو خارج مصر ، وقد ولد خلال ٦٠ سنة من وفاة يوسف ، وأنه

هو وقراؤه الأولون من الإسرائيليين كانت لغتهم وطريقة حديثهم قد تلونت كثيراً بالاتصال القريب والطويل مع اللغة والعادات المصرية دون أن تفقد وجودها أو مميزاتها ــ وإذاً فقد كانت هناك هذه اللغة التى كان يستعملها موسى نفسه بجانب الهيروغليفية وهى التى كتبت بها التوراة كما يقول الدكتور جويدا بل أن بعض عباراتها قد تسربت إلى الهيروغليفية نفسها فى « كتاب الموتى » وكما تتشابه العبرية مع العربية لأصلهما الواحد ، فقد وُجد أن الهيروغليفية قريبة من اليونانية وقد كشف عنها حجر رشيد الذى اكتشفه أحد ضباط نابليون وحل طلاسمه العالم شامبليون وهو مكتوب بالهيروغليفية والديموطيقية (الدارجة) واليونانية وكانت الأخيرة المفتاح للأولى ــ وقد ساعد اكتشافه على فهم زمان تغرب اسرائيل فى مصر وبرهن حوادث الخروج وأشياء أخرى مطابقة لحقائق الكتاب المقدس مما يرجَّح أن موسى كتب قبل ٢٤٥٠ ق . م . من أبجدية خاصة باليهود عندما نزلوا لمصر وإلا لتطلب الأمر أن يكتب بالهيروغليفية على غرار النظام المصرى ولجاءت التوراة بحروف هذه اللغة المصرية وهى غير الحروف العبرية القديمة التى كتبت بها !

• • •

ولقد ارتأى البعض أن التوراة لابد أن تكون مكتوبة بالهيروغليفية استنادا إلى الظن بأن « اللغة العبرية » لم تكن لغة الاسرائيليين عندما غزوا كنعان تحت قيادة يشوع خليفة موسى بل أنها كانت لغة سكان

أهل فلسطين الأصليين أى ــ الكنعانيين ــ وأنها لذلك سميت بالكنعانية .. وقد احتاجت إلى زمن طويل لخلقها بعد فتح كنعان وأنه لذلك لن يرجع تاريخ ظهورها إلى ما قبل عام ١١٠٠ ق . م . لأن شعبها لم يُعرفوا باسم العبريين ولم يتكلموا العبرية إلا بعد استيطانهم كنعان ومخالطتهم الكنعانيين ، ومن ثم فإن موسى نفسه لم يعاصر هذه اللغة ولا تعلمها لأنه لم ير فلسطين وتوفى قبل أن تبرز العبرية إلى الوجود ــ بحسب هذا الظن ــ بأكثر من قرن فكيف يكتب بها الوحى إذاً !

ومثل هذا الفرض يحتم علينا العودة إلى أصل الشعوب وتاريخ اللغات لبحثه فى ضوئها : فمن هم الكنعانيون الذين يقول هذا الفرض عنهم بأنهم سكان فلسطين الأصليون ؟ ومتى بدأ تاريخهم ؟ ومن يكن العبرانيون ؟

يظهر من تكوين ١٠ : ١٤ أن سكان فلشتيم وكفتوريم هم سلالة مصرايم ، ويترجم اسم « فلشتيم » إلى فلسطين فى أماكن أخرى من الكتاب وهى بالنطق اليونانى تلامشت الاسم الذى تسمت به القبائل النازحة من بحر إيجه منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد ومنحوا اسمهم للساحل السورى الجنوبى ــ وقد خرجوا من كسلوجيم (بر مصر) ودخلوا فى جزيرة كفتور باسم « كفتوريم » (عا ٩ : ٧) وهى كريت ثم استوطنوا أرض كنعان باسم الفلسطينيين واتحدوا بسكان الأرض ــ بعد أن أبادوا العديين الساكنين فى القرى إلى غزة وسكنوا مكانهم ــ واندمجوا معهم واخذوا عوائدهم وصاروا شعبا واحدا فى تاريخ إبراهيم وإسحق نقرأ عنهم فى جرار . أما الكنعانيون وهم سلالة

كنعان ابن حام وأخى مصرايم أيضا ـــ مثل كوش الذى رحل إلى بابل ـــ فهم التجار وأول ذكر لهم نجده فى تكوين ١٠ : ١٨ و ١٩ وقد ورد ذكرهم بعدئذ فى تكوين ١٣ : ٧ ، ١٥ : ٢١ كما فى سفر يشوع ٣ : ١٠ ويتبين من هذه التسجيلات الأولية أنهم وجدوا قبل زمان ابراهيم ـــ فى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد ـــ كما كانوا معاصرين له ؛ ومما لا شك فيه أنهم كانوا ملمين بالثقافة البابلية وهذا ثابت من استطاعة ابراهيم البابلى أصلا أن يتفاهم معهم فى أرض كنعان بلغتهم مباشرة (تكوين ٢٣) وأن تبادله الحديث معهم بهذه الصورة ليثبت وحدة اللغة التى كانوا يتفاهمون بها معا .. وفى زمن يشوع كانوا قد استولوا على معظم المواقع المتينة التحصين فى فلسطين ولم يمض وقت طويل عليهم كشعب بدوى حتى صاروا قوما فلاحين يجمعون كذلك قواعد النظام الحربى إلى حياة الحضر . وفى المقام الدينى مارس الكنعانيون الطقوس الفاسدة الغير نقية التى للساميين القدامى ومن أحطها جميعا الجهالة البدائية التى نسبت الروح لبعض الأنواع أو الأشياء وظواهر الطبيعة وفيه أيضا نشأت الديانة الكنعانية جاعلة من الأحجار والأشجار موضوعا للعبادة ـــ وتقدمت إلى تصوير البعل كإله للعشيرة (ولفظة بعل معناها إله) ولذلك فإن مردوخ كان بعل البابليين ومولك العمونيين وداجون الفلسطينيين وشمساً الموآبيين .

أما العبرانيون فيرجع تاريخهم إلى « أرام » الإبن الخامس لسام أكبر أولاد نوح ، والذى استوطن آرام النهرين ، ومن نسله الاراميون والاشوريون والعيلاميون (الفرس) واليهود والعرب

(تكوين ١٠ : ٢٢) ويعتبر الأخيران منها الشعبين الساميين الوحيدين اللذين قاوما أحداث الزمن .. وهما يُنسبان كما يرى البعض إلى « عابر » الذى منه اشتُقت العبرية والعربية على أن كلمة « عبرى » كما يرى البعض الآخر اسم علم مشتق من فعل شائع فى كل اللغات السامية ــ ومنها العبرية والعربية والموآبية والفينيقية ومع أننا لا نعرف الفروق الأصلية التى بينها إلا أنها لم تكن كبيرة فإن هذه اللغات أساسا قريبة جدا من بعضها ــ وهو الفعل « عبر » بمعنى تخطى واجتاز العبر بمعنى الجهة الأخرى من الوادى أو الجدول أو النهر أو البحر . وقد كانت تسمية « عبرى » تطلق على من يهاجر من العراق عن طريق عبوره نهر الفرات (يش ٢٤ : ٢و٣) هذا العبور ربما حدث فى بداية الألف الثانية قبل الميلاد وهو عصر حمورابى فى بابل ، وقد وردت أصداء عن قصة العبور هذه فى الملاحم الكنعانية التى عثر عليها فى رأس شمرا ... وإذاً لا يمكن أن تكون أصول العبرانيين الأولى منسوبة إلى كنعان وما ورد فى أشعياء من هذا القبيل عندما وصف اللغة العبرية نفسها « لسان كنعان » (١٩ : ١٨) فانما قصد به ما صار لها من وصف جديد قد أضيف إلى وصفها الأصلى بعد دخولهم كنعان ، لأن توراة موسى قد سبق أن وصفتهم بأن أباهم كان آراميا وليس كنعانيا (تث ٢٦ : ٥) وقد اكتسبت لغتهم منها صفة أخرى فيما بعد فوصفت باليهودية أو « اللسان اليهودى » (٢ مل ١٨ : ٢٦ و ٢٨ أش ٣٦ : ١١ و ١٣ نح ١٣ : ٢٤) تمييزا لها عن اللغة الأرامية ولكنها بقيت معروفة كما هى بالعبرية . وعلى كل فإن منشأ هذه اللغة أقدم من زمن تسميتها بالعبرية حتى إن ابراهيم حيثما توجه فى الأرض المقدسة تكلم بلغة

سكانها بدون ترجمان كما سبق البيان وقد وصف بالعبرانى (تك ١٤ : ١٣) ، كما وصفت امرأة فوطيفار يوسف بأنه « رجل عبرانى » (تك ٣٩ : ١٤) وقيل نفس الوصف « عبرانى » عن بنى اسرائيل فى عصر موسى (خر ٢ : ١١ و ١٣) .

وإذاً لم تكن اللغة الكنعانية هى التى قصدها أشعياء بعبارة « لغة كنعان » سالفة الذكر بل « العبرية » وهى التى كان يتكلمها العبريون حين هاجروا إلى أرض كنعان ، وهى قريبة من الآرامية القديمة فلم يكن الفرق بينهما عظيما ، ومن ثم فالقول بأن العبريين أخذوا يتركون تدريجيا لغتهم الأصلية ــ العبرية القديمة ــ وأخذوا يستعملون لغة البلاد التى هاجروا إليها أى اللغة الكنعانية « قول لا يستند إلى أساس من الواقع أو التاريخ ... فقد وجدت فى بابل بعض مخطوطات للعبرية القديمة كما وجدت عند البحر الميت فى وادى قمران مخطوطات للعهد القديم بهذه اللغة عينها (أى العبرية القديمة) وهى بدون تشكيل لأنها كانت تكتب وتقرأ بحروف بدون حركات وكان ذلك هو نطقها الأصلى إلى أن ظهر علماء اليهود الماسوريون فشكَّلوا العهد القديم عند استلامهم المخطوطات القديمة ومن بعد التشكيل قاموا باحراق النسخ القديمة السابقة له حتى يمتنع تداولها .. على أن هناك فروقا بين النطقين القديم والحديث توصلنا إلى معرفتها عن طريق الكلمات العبرية المكتوبة فى اللغة الأكدية وعن طريق النسخه السامرية وكذلك الترجمة السبعينية للعهد القديم ، وهذه كلها تحقق مدى مطابقة القراءة الحالية للعهد القديم مع القراءة القديمة !

xxxxx

وهكذا وصلت إلينا مخطوطات العهد القديم عن طريق سلسلة من النصوص العبرية نقلت كل منها من سابقتها ، وقد كان النقل يتم بعناية فائقة بمعرفة النساخ والماسوريت الذين قارنوا المخطوطات الموجودة وأقروا النصوص الحالية فى تاريخ لا يتجاوز القرن الثانى من العصر المسيحى . أما الآثار المكتوبة باللغة العبرية مثل نقش السلوان ونقش جيزر ونقوش لكيش فهى ترجع إلى الألف الأولى قبل الميلاد !

• • •

من ذلك نرى أن اللغة العبرية من أقدم اللغات الشرقية وهى إحدى شُعَب الألسنة السامية وقد دُوِّنت كل أسفار العهد القديم بهذه اللغة ما عدا بعض اصحاحات من سفر دانيال وأجزاء قليلة متفرقة من عزرا وأصحاحا فريداً من أرميا ظهرت باللغة الكلدانية (الأرامية) التي هى شعبة أخرى من شُعَب المجموعة السامية نفسها .

وهذه المجموعة تبدأ باللغة الأكادية التى تأتى فى المقدمة وهى لهجة سامية شرقية نشأت فى شرق منطقة ما بين النهرين (العراق) ثم انتقلت غرباً وتطورت وارتقت إلى اللغة الآرامية التى تنتسب إلى أرام بن سام ــ ويُقال إن هناك كلمات منها وردت فى بداية سفر التكوين مثل آدم وحواء وسبت وعدن بخلاف الاصحاحات سالفة الذكر ــ وعلى عهد عابر حفيد سام ظهرت العبرية والعربية وهما أحدث عهدا من الآرامية وسليلتيها (ومن هنا نرى شدة القرابة بين

اللغتين الأخيرتين) ، وهكذا تشمل اللغات السامية الأكدية والأرامية (الأشورية القديمة) والفينيقية (السريانية) والأثيوبية والعبرية والعربية وهى تنتسب إلى سام بن نوح وبسببه أطلق عليها ـــ اللغات السامية ولفظة السامية لم يطلق عبثاً أو يخترع اختراعاً لأنه مأخوذ من الأصحاح العاشر من سفر التكوين حيث نجد توزيع الشعوب والقبائل .

وتنقسم اللغات السامية إلى شرقية وغربية :

(أ) **شرقية** : وهى تشمل :

١ – الأكدية ـــ وهى التى كان يطلق عليها من قبل المسمارية البابلية وقد بقيت حية قروناً عدة بعد زوال سلطان الأكاديين السياسى إلى أن قضت عليها الأرامية .

٢ – الأشورية : هى لغة القبائل التى نزلت أرض ما بين النهرين وقد استطاعت أن توجد لنفسها شخصية مستقلة رغم استعمالها النقوش المسمارية .

٣ – الأرامية : وهى شقيقة الأكدية وقد قضت عليها كلغة حية حوالى القرن الرابع قبل الميلاد ، وهى على قسمين أحدهما فى الشرق باسم الكلدانية والثانى فى الغرب باسم السريانية ، ويعتبران ومعهما العربية ثلاث أخوات للعبرية وقد أصبحت الآرامية الشرقية المعروفة بالكلدانية لغة المسبيين من بنى اسرائيل إلى بابل وأشور

وهى التى وردت فى الفصول والآيات التى سبق الإشارة إليها .

(ب) **غربية** : شمالية وجنوبية :

١ – الكنعانية القديمة : ووجدت ضمن مكتوبات ألواح تل العمارنة .

٢ – الموآبية : وهى التى تظهر فى نقش ميشع .

٣ – الفينيقية : قضت على الآرامية حوالى القرن الأول قبل الميلاد .

٤ – العبرية : لغة العهد القديم .

٥ – العربية : وهى من أقدم اللغات السامية .

وأعتقد بعض حاخامات اليهود أن العبرية كانت لغة الفردوس وتبعهم بعض آباء الكنيسة ــ ولكن المدققين فى عصرنا الحاضر يرون أن اللغة التى تكلم بها آدم فقدت عند تبلبل اللسان فى بابل ــ أما عن الأجزاء التى كتبت بالأرامية فى العهد القديم ــ وهى العامية أو المحلية التى سادت بعد السبى إلى زمان السيد المسيح ــ فقد كان سببها فقدان النسخ الأصلية المكتوبة بالعبرية القديمة فلزم الحال أن تحل محلها فى السبى النسخ المنقولة عنها والتى بدأت تكتب بالأرامية لأن اليهود عند ما كانوا فى سبى بابل كانوا أكثر إلماما بها ولذلك فإن اللغة العبرية التى كتب بها موسى تعتبر غير اللغة العبرية التى كتب بها عزرا والكتاب المتأخرون حيث أنها تحتوى على كلمات أجنبية دخيلة على العبرية الأصلية نتيجة للسبى ، ومن ثم كان اليهود

الراجعون من السبى يتكلمون الكلدانية (الآرامية) ممزوجة بكلمات عبرانية ، لذلك كان يقتضى الحال عند قراءة الأسفار المقدسة للشعب ترجمتها إلى اللغة الكلدانية لكى يفهموها (نحميا ٨ : ٨) ويقال إن عزرا هو الذى غير حروف العبرانية القديمة وأبدلها بالحروف الكلدانية المربعة ! يُفهم من ذلك أن اليهود الراجعين من السبى كانوا قد نسوا لغتهم واستبدلوها بالكلدانية « الأرامية الشرقية » فلزم الحال ليس تفسير المعنى فقط للسامعين بل ترجمة النصوص من الآرامية التى حلت محل العبرانية . وقد حُفظت العبرية القديمة (تقليدياً) فى أدراج المجمع . وأما التشكيل فقد وُضع فيما بعد فى النسخ الماسورية .

لقد كانت الأرامية هى اللغة الرسمية فى الامبراطورية الفارسية : أخذها اليهود عن الفرس واستعملوها وهم فى بابل ثم بعد عودتهم إلى فلسطين حتى سنة ٦٣٥ م ، وقد وجدت لهم بجزيرة الفيلة فى منطقة أسوان مجموعة من الوثائق المكتوبة بلغة آرامية يهودية على ورق البردى ترجع إلى زمان قمبيز (كورش) ، وقد قام عزرا بترجمة الشريعة التى كانت مكتوبة بالعبرية القديمة إلى الآرامية ــ لأن اللغة العبرية فى مدى أعوام السبى ــ ٧٠ عاما ــ بدأت تضمحل فأثار فيهم العامل الوطنى مع الدينى الرغبة فى إعادة مجدها ولم يكن ذلك سوى بالكتب المقدسة ــ كما قام بتفسيرها فى الإجتماع العظيم الذى عقده للشعب الراجع معه من السبى ، وذلك لأن الشعب كان قد نسى تلك اللغة (العبرية القديمة) فكان يلزم ترجمتها إلى لغة الشعب التى كانت حينئذ وهى الأرامية ، وقد جرت العادة فى المجامع أن تُقرأ مقتطفات من الأسفار المقدسة باللغة العبرية أولا ثم تُتلى بعد ذلك

ترجمتها التى سُطرت فيما بعد .. كما أخذت الترجمة السبعينية بالأسكندرية حوالى سنة ٢٨٠ ق . م من العبرية القديمة أيضاً التى كانت مكتوبة بها الأسفار المقدسة وقد جمعت من مخطوطاتها قبل جمع كتب العهد الجديد التى كتبت باليونانية . وكانت هذه الترجمة السبعينية أوسع الترجمات انتشاراً ، وكانت هى المعروفة والمستعملة أكثر من الأصل فى العصر الأول الرسولى ، وهى غالباً النسخة التى استعملها البشيرون والرسل ، وهذا يوضح الفروق اللفظية البسيطة بين العهد القديم وبين الاقتباسات الواردة منه فى العهد الجديد ، فبينما العهد القديم الذى عندنا مترجم من العبرية القديمة ، إلا أن ما ورد منه فى العهد الجديد إنما هو مقتبس من الترجمة السبعينية اليونانية للعهد القديم ، بل إنها ترجمت فى لغة المصريين القدماء إلى ترجمتين : فى لغة مصر السفلى ودعيت بالترجمة القبطية ، وفى لغة مصر العليا ودعيت بالترجمة الصعيدية وبجانب هذه الترجمات وجدت ترجمات أخرى فى السريانية واللاتينية والفارسية والعربية .

• • •

واستناداً إلى ما تقدم فإن هذه اللغة العبرية التى ماتت وحلت محلها « الأرامية » فى النطق والكتابة بعد الرجوع من السبى لم تكن هى العبرية السامية التى كتب بها العهد القديم وذلك لأنه قد دخلها كثير من الكلمات الأرامية والاغريقية واللاتينية ، كما أن أسلوبها تأثر كثيرا بالأسلوب الآرامى ــ ولذلك فقد تكلم السيد المسيح مراراً بالأرامية

لا للعبرية ولا لليونانية لأنها كانت اللغة الشائعة فى ذلك الوقت فقد ترجمت كلمات من الأرامية إلى اليونانية عند كتابتهم للأناجيل مثل :

إيلى لم شبقتنى ، وطليثا قومى ، فهى تعبيرات أرامية ــ والكتابة المعروفة حاليا بالعبرية كانت الآرامية ، أما العبرية القديمة فكانت غيرها ، أما القواعد الأصلية لها ــ قواعد النطق فقد عملها الماسوريون وعندما ثبَّتوا النطق كان هناك أكثر من ألف سنة مضت بعدها كُتبت النصوص العبرية بحروف بعد التشكيل ! ولذلك فإن المقصود بالعبرانية الواردة فى يوحنا ٥ : ٢ هى اللغة الآرامية ... ويقال إن بعض أجزاء من العهد الجديد كُتبت بها فى الأصل فإن صح ذلك فتكون قد تُرجمت إلى اليونانية فى عهد بعيد جداً ، وذلك لأن العهد الجديد قد وصل إلينا مكتوباً باليونانية (الهلينية) لا لشيوعها فى فلسطين لأن الآرامية هى التى كانت سائدة فيها (أعمال ٢٢ : ٢) وإنما كان سبب استخدام اللغة اليونانية هو انتشارها العالمى فى ذلك الوقت ، وحتى يتسنى توصيل الإنجيل إلى أبعد مدى ممكن فى العالم وخاصة بعد الترجمة السبعينية للعهد القديم وترجمة يوسيقوس لتواريخه من اليهودية إلى اليونانية (كنتيجة لفتوحات الاسكندر) ويلاحظ أن اليهود الذين قبلوا اللغة اليونانية أطلق عليهم فى العهد الجديد (هلينيين) وسميت لغتهم ــ اليهودية اليونانية ــ باللغة الهلينية .

ومن المُسلَّم به أن العهد الجديد كتبه أناس عبرانيون وعبَّروا فيه عن أفكار وتصورات وإحساسات يهودية فى اللغة اليونانية فنتج أن اصطلاحاتهم ونفس لغتهم كانت يهودية مع أن صورتها الخارجية

كانت يونانية ـــ وهى من اليونانية الشائعة فى زمانهم وإلا كان يصعب تصديق أن كتبتها هم الرسل ، فلو كانت بغير هذه اللغة لكنا قد فقدنا دليلا قويا على صدق أسفار العهد الجديد وصحة نسبتها إلى الرسل .

• • •

وهكذا ثبت أن الترجمات القديمة قد أخذت عن متون أقدم من كل ما وصل إلينا فى جميع النسخ الباقية ! وقد تمت مقابلة التراجم القديمة عند أمم شتى من العرب والسريان والقبط والأرمن والأحباش وغيرهم ـــ وما وُجد بينها من اختلافات إنما كان فى أمور عرضية لا دخل لها فى معانى الكتاب ولا تمس شيئاً من المواد الجوهرية فى التراكيب وإنما هى من جراء ما يلحق ببعض الألفاظ أو الجمل من الأحوال العارضة والوصلات الخارجية ، وذلك كأن يكون اللفظ فى إحدى النسخ مُعرفا مثلا ، وفى الأخرى بلا تعريف أو يرد الحديثّ فى بعضها بلفظ الفعل وفى غيرها بلفظ الأسم أو يثبت لفظ العاطف (حرف العطف) فى الواحدة ويحذف من الأخرى وسائر القوانين النحوية ...

أما الاعتراض الذى يثيره بعضهم ضد قيمة الوحى الحرفى وهو أن غالبية الناس يقرأون الكتاب المقدس مترجما من لغاته الأصلية إلى لغاتهم فلا يمكن أن تكون الكلمات التى يقرأونها فى لغاتهم موحى بها ، فهذا الاعتراض مردود لأنه طالما كانت الترجمة مضبوطة وتعطى ذات المعنى الموجود فى اللغة الأصلية ، فهى توصل إلينا نفس أقوال

الله الموحى بها ولا يفوتنا أن الرب نفسه وكتبة العهد الجديد اقتبسوا مرارا من الترجمة السبعينية التى ليست سوى ترجمة للعهد القديم من العبرانية وقد اقتبسوها كأقوال موحى بها واعتبرت كالنص العبرى سواء بسواء !

ولا شك أن رأفة العناية الإلهية قد ظهرت جليا فى إقامة أناس علماء ليترجموا الكتب المقدسة إلى مختلف اللغات من أقدم العصور ومن أشهر هذه الترجمات من بعد السبعينية ، الفولجاتا ، وترجمة بيدا وترجمة وكلف ، وترجمة تندل ، والترجمة الانجليزية الرسمية وما تبعها من ترجمات .. وأما بالنسبة للترجمة العربية فأول ترجمة ظهرت منها كانت الترجمة التى ترجمها يوحنا أسقف اشبيلية من أعمال أسبانيا سنة ٧٥٠ م عن ترجمة ايرونيموس اللاتينية . وظهرت بعدها ترجمة أخرى للعهد القديم هى ترجمة سعد غادن أو سعديا الفيومى وقد كان معلما شهيراً فى مدرسة بابل وهو رجل يهودى ولد فى الفيوم وكان يتقن اللغتين العبرية والعربية وكانت ترجمته هذه سنة ١٦٤٥ لفائدة اليهود الذين يتكلمون العربية . وقد ظهرت ترجمات أخرى لأجزاء من الكتاب المقدس بعضها للمزامير ، وبعضها للأناجيل ، وبعضها للاسفار الخمسة إلا أن أول ترجمة للكتاب المقدس كله كانت عام ١٦٧١ حين استأذن سركيس الرزى مطران حلب من البابا فى تحصيل نسخة مضبوطة من الكتب المقدسة فأذن له البابا أربان الخامس بذلك فشرع مع مجموعة من العلماء فى إعداد هذه الترجمة العربية التى تم طبعها فى رومية فى ثلاثة مجلدات كبيرة بعد عمل استغرق ٤٦ سنة وقد ظهرت ترجمة للعهد الجديد بعد ذلك قامت

بها جمعية نشر المعارف المسيحية سنة ١٧٢٧ ثم تم طبع الكتاب المقدس كله باللغة العربية على نفقة جمعية الكتاب المقدس البريطانية وكان عالى سمث هو الرجل الأول الذى أعدته العناية الالهية للترجمة الحالية وقد اشترك فى هذه الترجمة بطرس البستانى ، وهى تنسب إلى فإن ديك لأنه هو الذى أكمل ما بدأه سمث بعد أن درس اللغة العربية على يد الشيخ ناصيف اليازجى والشيخ يوسف الأسير الأزهرى . ويُعتبر ناصيف اليازجى أعظم كاتب عربى مسيحى ظهر فى القرن التاسع عشر وأما يوسف الأزهرى فقد فضَّل فإن ديك الاستعانة به فى ترجمة الكتاب المقدس لنبوغه وبلاغته وعدم تحيزه وقد تم الانتهاء من هذه الترجمة فى ١٠ مارس عام ١٨٦٥ وظهرت الترجمة اليسوعية فى بيروت أيضا بعدها بقليل فى سنة ١٨٧٦ واليوم تقوم جمعيات الكتاب المقدس المتحدة بمشروع ترجمة الكتاب المقدس الموحد فى اللغة العربية .

• • •

الباب الخامس
سجلات المراجع التاريخية

تنقسم كتب العهد القديم إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهى :

١ ــ كتب تاريخية : من التكوين إلى استير (تشريعية ــ تنفيذية)

٢ ــ كتب شعرية : من أيوب إلى نشيد الانشاد .

٣ ــ كتب نبويـة : من أشعياء إلى ملاخى .

ويلاحظ أن هذا التقسيم ــ وهو غير التقسيم العبرى ــ قد ظهر بالأكثر فى الترجمة السبعينية اليونانية ، لأن اليونانيين كانوا يهتمون بالتاريخ (التراجم والسير والحوادث) فقالوا عن كتب يشوع وما بعده إنها كتب تاريخية مهما تكن رسالتها الدينية ومهما يكن من اعتبار التاريخ فيها كوسيلة للتوجيه إلى رسالة دينية هى الهدف الأصلى المقصود بها ! وقد رأى أوريجانوس نفس هذا الرأى فقال : « إن الهدف هنا ليس الحوادث التاريخية بل الحقائق العقلية الأدبية » فى حين أن تيودور المبسوستى اعتبرها بسبب تخصصها التاريخى مجرد كتب بشرية مملوءة بالحكمة والأخبار منكرا بذلك وحيها .

على أننا فى هذا القسم من العهد القديم نقف على أرض أخرى غير الأرض التى وقفنا عليها عند بحثنا فى أصل أسفار موسى الخمسة فإن المؤرخين هنا بوجه عام يخفون شخصياتهم ولا يذكر اسم أى

واحد منهم فى أى حالة فنحن لا نعلم من هم ، بعضهم ولا شك كان من الأنبياء والبعض كان ينتمى للكهنوت وقد استعملوا المصادر التى كانت فى متناول أيديهم ــ فهل هناك أى تساؤل عن الوحى فى هذه الحالة ؟ إنهم مثل كل المؤرخين يجمعون المواد من البحث المضى ويستخدمون كتبا كثيرة بعضها ذُكرت أسماؤها ، لأنه فى كل الاحتمالات بدأت أقدم مقطوعات العهد القديم كأجزاء متناثرة من أصول شفوية تسلمت بالنقل إلى أن ظهرت فى مثل هذه الكتب أو المراجع التاريخية ، ولا يتطرق الشك فى أن كثيراً من قصص أسفار موسى الخمسة التى لها مزايا وفيرة ولون رفيع كقصة زواج اسحق ورفقة (تكوين ٢٤) قد نشأت تحت ظروف إخبارية وصارت جزءا من قصص المؤرخين ولا شىء يمكن أن يفوقها فى الجمال والبساطة ، وكذلك قصة العليقة المشتعلة (خروج ٣) وأيضا جدال إيليا مع أنبياء البعل (ملوك أول ١٨) ، وأما مكان الوحى بعدئذ فهو الأنتقاء من المواد التى أمام أولئك المؤرخين بإرشاد الروح القدس لهم فيختارون منها ما يريده الوحى ويقومون بترتيبه تحت إشرافه حتى يمكن متابعة يد الله الخفية فى أدوار التاريخ وذلك باتباع المجمل التاريخى الذى وضعه الكتَّاب أنفسهم والذى تطور شكله على يد مؤرخ أو مرنم أو نبى إلى أن تمت صياغته على هذا النحو الذى أعلنه الوحى ! وها نحن نقدم كشفا جزئيا بالمصادر التى أخذوا عنها وهى :

« سفر ياشر ــ سفر حروب الرب ــ تواريخ شمَّة وعدو المتعلقة بالانساب ــ تاريخ النبى ناثان ــ كتب عدو الرائى المحتوية على رؤياه ــ أخبار أيام الملك داود ... وكثير غيرها » .

وجدير بالاعتبار هنا بالنسبة لهذه المراجع أن علم الآثار القديم الذى يرتبط بها لا يصلح لإعلان الحق الأزلى ، فليست التوراة بيانا عن آثار دينية قديمة ، بل هى إعلان معيارى عن معنى (كل حادثة تاريخية) من حوادث التاريخ الهامة التى وقعت فى سجل البشرية الطويل ! ومع ذلك فهى تحتوى على تواريخ وأنساب وسير لم يقم دليل واحد على عدم صحتها ، بل هناك مصادر عديدة جدا تدعم صحة الوقائع المدونة فيها مثل المخطوطات الأثرية ، والنقود وأطلال المدن والاستكشافات الحديثة ... كما أن استمرار الكشف عن الملوك القدماء والحضارات القديمة فى مصر وسوريا وبابل يشهد بوضوح على أن كل قصص العهد القديم تتفق فى وقائعها مع الوثائق المعاصرة حتى فى أدق تفصيلاتها بل حتى تلك التى تتصل بجغرافية الأرض وجيولوجيتها فقد أثبتت آثار تل هرارى أن جدود العبرانيين جاءوا من حاران مدينة ناحور التى تظهر فى الآثار تحت اسم Nakhur .

وهكذا نجد الكتاب المقدس يحوى تاريخا وتراجم : فيذكر ملوكا وأباطرة وحكاما ممن قد ذُكروا فى التاريخ العام ويصفهم بدقة تدل دلالة واضحة على صحتها ، وقد أجمع يوسيفوس وآخرون من المؤرخين على وجودهم فى ذات الزمان المعين لهم فى الكتاب وفى نفس البلاد وبذات الانظمة مما يبين ضبط الكتاب للحوادث ضبطا محكما تاريخيا وعلميا .

قال د . أور : « من المدهش حقا أن نلاحظ استحالة وجود حادثة واحدة فى الكتاب المقدس فى عصر الملوك من الحوادث التى لها اتصال بالممالك الأخرى دون أن نجد تأييدا لها من الآثار ، وعندما

نتأمل فى ملايين الأشخاص والحوادث التى لا حصر لها والتى مرت فى العصور الغابرة **ندهش عندما نعرف أنه يندر أن نجد شخصا من الأشخاص أو حادثة من الحوادث المذكورة فى الكتاب المقدس لا تؤيدها أبحاث علم الآثار الحديثة** » .

ولذلك يعتبر الكتاب المقدس موسوعة تاريخية فى صفحاته تسجيل للتاريخ القديم عن مصر وبابل وأشور ـــ وهو يلقى الضوء على علم الحفريات والآثار فهو توضيح لدراسة اللوحات القديمة من حطام مدن الكلدانيين والبابليين والأشوريين والمصريين . وسجلات الكتاب المقدس توضح أحيانا فحوى تلك الملخصات وما يتصل بتواريخ حكام وأباطرة التاريخ وهى دقيقة لدرجة يمكن معها حساب فترات الملك للملوك مع أن فرصة أى شخص للحصول على تسجيل دقيق كالموجود فى الكتاب المقدس العبرى إنما هى فرصة ضئيلة ومعدومة بحيث لا يستطيع أى عالم بالرياضيات أو التاريخ أن يحسبها !

ولم تكن كتابة التاريخ علما قائما بذاته ـــ إذ كان القصد من وصف الحوادث هو استخراج مبادىء دينية معينة ـــ بل كان الاقتباس جائزا مع إمكانية ذكر المصادر أحيانا إذ لم تكن الطباعة قد ظهرت وكانت النسخ الخطية قليلة ونادرة . وهنا ظهرت مجموعات قديمة من المراجع التاريخية تدعى « الكتب أو الأسفار » كانت معروفة عند قدماء العبرانيين : ففى سفر العدد ٢١ : ١٤ نجد سطورا قلائل مقتبسة من « **كتاب حروب الرب** ، وقد تكون أناشيد هذا الكتاب

وصفا لنضال أبطال الشعب القديم وقد انتقلت سماعاً من جيل إلى جيل حتى جاء وقت تدوينها .. وإنا لواجدون فى سفر يشوع ١٠ : ١٣ تلميحا إلى مجموعة أخرى تدعى « **سفر ياشر** » (وياشر كلمة عبرية معناها « المستقيم » ولعل هذا السفر كُتب فى الأصل للإشادة بالانتصارات الرائعة التى يحققها الرجل أو البطل المستقيم بمعونة يهوه ، وأغلب الظن أنه حوى قصص حروب يشوع مع الأموريين ويرى بعضهم من الإشارة إليه هنا أن مؤلف سفر يشوع قد اعتمد فى وضعه على كتب سابقة منها هذا السفر كما يفعل كتبة التاريخ فى كل عصر حينما يتسنى لهم ذلك ، وقد ورد فى نفس هذا السفر أيضا رثاء داود لشاول لأنه قد ذُكر مرة أخرى فى صموئيل الثانى ١ : ٧١ ، ويرجَّح علماء الكتاب لذلك أن الذين كتبوا أسفار يشوع وصموئيل كانوا على علم بهذه المجموعات واتخذوا منها مادة لمؤلفاتهم . **وسفرا صموئيل** هما جزء من سلسلة تاريخ الشعب القديم يبتدئان بآخر خدمة عالى الكاهن كقاض وينتهيان بآخر مُلك داود ـــ أما كاتب هذين السفرين فهو على الأرجح صموئيل إذ يُظن أنه كتب الأربعة والعشرين أصحاحا من السفر الأول وأن جادا وناثان النبيين أكملاهما (١ أى ٢٩ : ٢٩ و ٣٠) بدليل قوله : وأمور داود الأولى والأخيرة هى مكتوبة فى أخبار صموئيل الرائى وأخبار ناثان النبى وأخبار جاد الرائى » . وهذا يطابق الإشارة إلى التواريخ والروايات المسجلة والمنسوخة فى مدارس الأنبياء الأمر الذى يتضح منه أنه كانت هناك أسفار أخرى غير موحى بها تحتوى على تاريخ كل ملك على حدته ومنها « ذكريات داود » فإما أنه هو الذى أثبتها

فى سجلات نقل عنها الكاتبون فيما بعد وإما قد سجلها شخص من ندمائه وأخصائه (١ صم ٢٤ : ٣ و ٧ و ٢٢ ، ٢٦ : ٦) وأيضا « سفر أمور سليمان » ، (١ مل ١١ : ٤١) وله أيضا كتاب فى التاريخ الطبيعى (١ مل ٤ : ٣٣) كما أن هناك سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا (١ مل ١٤ : ٢٩ ، ١٥ : ٧ ، ٢ مل ٢٤ : ٥) وكذا سفر أخبار الأيام لملوك اسرائيل (١ مل ١٤ ١٩ ، ٢ أخ ١٦ : ١١ ، ٢٥ : ٢٦ ، ٢٨ : ٢٦ ، ٢٧ : ٧ ، ٣٥ : ٢٧ ، ٣٦ : ٨ ، ٢٠ : ٣٤ ، ٢٤ : ٢٧) وهذه الأسفار كانت فى الواقع مصادر لسفرى **الملوك الأول والثانى** ومدتهما ٤٠ سنة ولا بد من أن كتابتهما كانت بعد الحوادث المدونة فيهما بزمان إذ يسير بنا الحديث فيهما إلى زمن سقوط أورشليم ، ولذلك يرجح علماء الكتاب أنهما كُتبا بعد هذا التاريخ ، ربما فى زمن السبى . **أما سفرا أخبار الأيام** (وهما فى الأصل سفر واحد) ويبدآن بتاريخ الإنسان وذلك للوصول إلى تاريخ السلسلة المختارة (١ أخ ٦ : ١٥ ، ٢ أخ ٣٦ : ٢٢ و ٢٣) فقد كُتبا بعد سبى يهوذا ، والكاتب يسجل فيهما الحوادث المختصة بالسلسلة المختارة طبقا لمقاصد النعمة تلك التى ردَّتهم من السبى . ولا يُعرف على وجه التحقيق كاتب هذين السفرين ولكن ذلك لا يمس بأى حال من الأحوال موضوع كتابتهما بالوحى الإلهى ــ لأن معرفة الإنسان الذى استخدمه الله لكتابة ما أراد أن يكتبه يُعتبر أمراً ثانويا ، ومن ثم فإن عدم معرفة كتبة بعض الأسفار المقدسة لن يمس قط حقيقة وحيها ــ ومع ذلك فالمرجح أن كاتبهما هو عزرا ولاسيما أن خاتمة السفر الثانى تتفق مع بداءة سفر عزرا ، ولأنه ــ كما يقول بعض العلماء ــ توجد فى داخل هذين السفرين

أشياء تتفق مع سفر عزرا وتؤيد الاعتقاد بأن عزرا هو كاتبهما ، إلا أنه قد اعتُرض على هذا الرأى بحجة أن السلسلة الواردة فى ١ أخ ٣ : ١ ــ ٢٤ تمتد فى عدد ١٩ إلى ما بعد زربابل بزمن طويل حتى أن كاتب هذين السفرين لا بد أنه عاش إلى أيام الاسكندر ، ولذا لا يمكن أن يكون عزرا هو كاتبهما ، ولكن هذا الاعتراض مردود لأن هذه السلسلة تنقطع فى وسط عدد : ٢١ « بنو حننيا فلطيا ويشعيا » وهنا ينتهى الجدول الأول ، وما يأتى بعد ذلك هو جدول آخر ويسير غالبا فى اتجاه آخر .. ويقتبس كاتب هذين السفرين من سفرى صموئيل والملوك ولكنه يذكر أمورا كثيرة لا توجد فيهما ، ولله فى مثل هذه الإضافات والحذف وسائر الاختلافات الظاهرية قصد إلهى ، لأنه تعالى هو الواضع لهذه الأسفار كلها . على أنه قد تكون علة بعض هذه الإختلافات اختصار ذكر الحوادث فى بعضها فقد تذكر فى أحدهما أحوال بعض الحوادث التى يكون قد تركها الآخر ــ والمقصود من سفرى الأيام ذكر أخبار متوالية من التاريخ القديم الصحيح مما لم تذكر فى الأسفار الأخرى وهو مكتوب من وجهة نظر الكهنة بخلاف الأسفار السابقة التى كتبت من وجهة نظر الأنبياء وإذاً فإن سفرى الأخبار ليسا مجرد تكرار لما قبلهما ولا مجرد إضافة وحذف لحوادث بل إنهما يحملان وجهة نظر أخرى فقد صُنفا فى تاريخ متأخر بعد سفر الملوك بما يقرب من ٢٠٠ سنة .

على أن كاتب سفرى الأخبار لابد من أنه جمع أخباراً كثيرة من سجلات مملكتى يهوذا واسرائيل كما فعل أيضا كاتب سفرى الملوك

مثل أخبار صموئيل الرائى وناثان وجاد .. ونبوة أخيا الشيلونى ، ورؤى يعدو الرائى (٢ أى ٩ : ٢٩ ، ١٣ : ٢٢) وأخبار شمعيا النبى (١٢ : ١٥) وأخبار ياهو بن حنانى (٢٠ : ٣٤) ومكتوبات أشعيا النبى (٢٦ : ٢٢ ؛ ٣٢ : ٣٢) وأخبار الرائين (٣٣ : ١٨ و ١٩) .

ويقول علماء الكتاب إن سفرى أخبار الأيام كُتبا حوالى سنة ٣٢٥ ق . م . فى السبى عند سقوط بابل وظهور عزرا . وبديهى حينئذ أن يخلع من يتصدى لكتابة التاريخ معنى دينيا قويا على الحوادث ويعنى بالهيكل ومحتوياته والكهنة وأعمالهم وأن يرفع من شأن الناموس لتخليص اليهود من الوثنية وآثار وجودهم وسط الشعوب الأخرى ـــ وهذا ما حدث تماما عند كتابة سفرى أخبار الأيام فقد اقتبس الكهنة من المصادر التاريخية التى استعان بها كتَّاب سفرى الملوك ولكنهم أضافوا إليها أشياء كثيرة عن الهيكل .

وهكذا بدأ عزراً فى تجميع المدونات التاريخية وكان بعضها قد انتهى إلى زمانه بطريق السماع ، والبعض الآخر عن مراجع مكتوبة هى مصادر أسفار الملوك وأخبار الأيام ، وأما أهم هذه المدوِّنات :

١ – **سجلات البلاط** : فقد كان الملوك قديما يعيِّنون موظفا خاصا يدوِّن كل الاحداث ذات الشأن أثناء حكم الملك مثل بداية حكمه وأسماء زوجته وأبنائه ، وانتصاراته والأبنية والدسائس والمعارك فى سجلات رسمية لم يبق منها غير المقتبسات التى وردت فى العهد القديم .

٢ - **سجلات الهيكل** : تقرأ هنا عن تفاصيل بناء الهيكل وبيانات محتوياته وهذه حفظت فى سجلات خاصة احتفظ بها الكهنة فى الهيكل .

٣ - **سير الأنبياء** : الذين كانت لهم قصص سماعية ذائعة قد جُمعت فيما بعد ودونت مثل الفصول عن حياة إيليا واليشع . وقد أدمجت هذه القصص فى تاريخ الملوك لأن هذا هو وضعها الطبيعى ، وقد كان هناك كتبة ومسجلون كانوا يهيئون السجلات المدوَّنة فيها الحوادث ويصوغونها فى قالب أخبار متصلة بعضها ببعض !

أما سفر عزرا : فقد كتبه عزراً بن سرايا الكاهن والكاتب معا وكان فى مقدمة الراجعين من سبى بابل ، وسفره هذا هو سفر تاريخى يلى سفر أخبار الأيام الثانى ، والعددان الأخيران من الأخبار الثانى هما تقريبا نفس الكلمات الافتتاحية لسفرا عزرا .

ويليه سفر نحميا : وقد كتبه نحميا بن حكليا أحد المسبيين فى بلاد فارس ويعتبر هذا السفر آخر أسفار العهد القديم التاريخية .

وأما سفر استير والمرجح أن كاتبه مردخاى فإنه يجىء تاريخيا بين بداءة سفر عزرا ونهايته لأن احشويرش الذى اتخذ استير ملكة يجىء بين ارتحششتا المذكور فى عز ٤ : ٧ و بين اترحششتا (لونجيمانوس) المذكور فى عز ٧ : ٢١ ويظن بعض النقاد أن وقائع سفر استير قد كتبت بعد زمانها بمائتى سنة . ولكننا إذا ما تأملنا فى دقة وصف ملك فارس وجدنا أنه من الصعب جدا وصف شوشن القصر هذا الوصف الدقيق بعد أن كان قد تهدم بزمن طويل مما يجعلنا

ندرك أن هذا الظن لا أساس له من الصحة إذ أن قوة الخيال لا يمكن أن تصل لهذا الوصف الدقيق ، ولقد اكتشف ديولافرا الفرنسى هذا القصر وأثبت اكتشافه صحة سفر استير فى كل روايته . فمناظر هذا الاكتشاف توافق شوشن القصر كل الموافقة ولا توافق سواه من قصور العصور القديمة والعادات التى وجدت مكتوبة عليه لا تنطبق إلا على بلاط مملكة فارس !

أما سفر راعوث : فقد قالوا عنه بأنه قصة كتبت فى زمن عزرا ونحميا حين اشتدت الرغبة فى التخلى عن الزوجات الأجنبيات ، وكان هدفها إثبات أنه حتى داود نفسه كان يجرى فى عروقه دم امرأة موآبية ، ولكن لم يطعن أحد فى صحة هذه الرواية فريدة عصرها بل لقد كان اليهود يقرأونها فى عيد الخمسين !

وقد كان عسيراً جداً تصديق ما ذكر فى تكوين ١٤ عن حملة كدرلعومر على مدينة سدوم ـــ غير أن التاريخ حقق أسماء نفس الملوك المذكورين فى هذا الاصحاح ، فإن أمرافل المذكور هنا هو نفسه حمورابى الذى كان يملك فى بابل فى ذلك الوقت وكان يحمل لقب « نمرود » ويقول الاستاذ سايس عن ذلك : « هذا دليل آخر على أن ما يبديه النقاد من اعتراضات يتضح فى النهاية أنه ناتج عن قصور فى معلوماتهم فإنهم ينكرون صحة الروايات أو النصوص القديمة لعدم إلمامهم بكل الحقائق الكشفية التى تثبتها » .

أما الادعاء على سفر دانيال بأنه كُتب سنة ١٦٨ ق . م . فإن العادات الأشورية قد فنّدته وأكدت صحته . وقد استند ذلك الادعاء إلى وجود بعض كلمات يونانية فى دانيال قيل بسببها إنه يستحيل أن يكون قد كتب إلا بعد تغلغل النفوذ اليونانى فى آسيا بواسطة غزوات الاسكندر وكانت تلك الكلمات المزعومة ١١ كلمة وبعد أن تقدم علم دراسة اللغات انخفض العدد إلى اسمين أو ثلاثة من أسماء الآلات الموسيقية . ثم كان يُظن مستحيلا أن تكون هذه الآلات قد عرفت فى بابل حوالى سنة ٦٠٠ ق . م . أما الآن فإن العلماء أصبحوا يعتقدون أن العلاقات بين الشرق والغرب كانت متبادلة بشكل واسع النطاق قبل ذلك التاريخ ــ وأن الجالية اليونانية فى تحفنحيس المصرية يحتمل أنها نقلت إلى أورشليم الكثير من هذه الآلات الموسيقية اليونانية المعروفة بالقيثارة والناى والرباب قبل أن تُدوَّن فى كتابات اليهود ــ بل إن القيثارة ذات السبعة أوتار التى اخترعها الشاعر اليونانى تربائدر قد وُجدت منقوشة على آثار الملك أشور بانيبال الذى مات سنة ٦٣٥ ق . م . أى أن هذه الآلة قد دخلت البلاط البابلى فى ظرف ٢٥ سنة من تاريخ اختراعها , هذا وقد حملت حجارة خرائب بابل ختما باسم نبوخذ نصر كما وجد فى آثارها ما يدل على التعذيب بالآتون أو الأسود .

فكيف يُتاح لكاتب خيالى فى القرن الثانى قبل الميلاد ــ وهو الذى يظن المعترضون أن سفر دانيال كُتب فيه ــ أن يعطى وصفا دقيقا كهذا للحياة فى تلك المدينة فى القرن السابع قبل الميلاد بعد أن كانت قد اندثرت مدنيتها قبل ذلك بنحو أربعمائة سنة !؟

وأما قصة الملك بلشاصر ووليمته التى جاءت فى سفر دانيال وقد حسبها بعض الناقدين أسطورة ، وذلك لأن بلشاصر كان سراً غامضا ، لأن اسمه لم يذكر فى التاريخ العالمى ، فضلا عن هذا ، فإن المعروف أن نابونيدس كان آخر ملك فى بابل ، ولا يمكن أن يكون هو بعينه بلشاصر المذكور هنا لأنه لم يُقتل عند الاستيلاء على بابل . لذلك زعم الزاعمون أن قصة بلشاصر هذه وُضعت فى تاريخ متأخر ، ربما فى عصر المكابيين فى القرن الثامن قبل المسيح . على أنه منذ مائة سنة حل السر هنرى رولنصون بفكه للنقوش والرموز التى وجدت فى أور على اسطوانات من الفخار ومنها علم أن بلشاصر هو ابن نابونيدس ، ثم عثر على نقوش أخرى قدمت أدلة قاطعة تثبت أن نابونيدس كان قد نقل مقره الملكى إلى تيما فى بلاد العرب وعُيِّن ابنه بلشاصر خلفا له ملكاً على بابل ، ومن ثم كان بلشاصر وقت سقوط بابل حاكماً على تلك المدينة .

وبعد أن استعرض العلاَّمة دوفرتى أستاذ العلوم والآداب الأشورية فى جامعة ييل قدم الأدلة التاريخية فى ختام كتابه نابونيدس وبلشاصر فقال « بين كل المدوِّنات غير البابلية التى تعالج الموقف فى ختام الامبراطورية البابلية يعتبر الاصحاح الخامس من سفر دانيال تاليا فى الدقة للنقوش التى وجدت على الفخار من حيث الحوادث الهامة . وتعتبر رواية السفر المقدس متفوقة لأنها تسلم بقيام حكم ثنائى فى المملكة » ويضيف إلى هذا قوله : « إن الرأى الذى يقول إن الاصحاح الخامس من سفر دانيال كتب فى عصر المكابيين لا أساس له من الصحة » .

هـــذا الكتـــاب

إنه فخر المكتبة العربية وتراثها الدينى الخالد ، إذ يبحث فى « مصادر » الكتاب المقدس بحثاً عميقاً لم يطرقه أحد من قبل بهذه الكيفية الفائقة وبهذا الأسلوب الشيق وبهذه الموسيقى الملائكية العذبة التى تنساب من أبوابه السبعة بعدد الكمان فنجد فى الباب الأول « تعريف بالكتاب المقدس » نبذة تاريخية وافية عن الكتاب ومدوّنية ، ويليه الباب الثانى « منشأ فكرة المصادر » وهو يحلل هذه الفكرة مبيناً أصلية الكتاب المقدس وأن لا مصدر له إلا الله ، كما نجد فى الباب الثالث بحثاً مستفيضاً عن « روايات التقليد والأساطير » وكيف أن الكتاب المقدس يعلو فوقها جميعاً ثم يتعرض لموضوع الوحى المباشر المعصوم لكل أجزاء الكتاب المقدس فيفند كل الاعتراضات عليه فى بابه الرابع « اللغات الأصلية والترجمات » ونسير عبر صفحاته إلى الشهادة الحية التى يقدمها التاريخ وعلم الآثار فى الباب الخامس « سجلات المراجع التاريخية » ، أما بابه السادس « فحص المقابلات الأدبية » فيتجلى فيه الكتاب المقدس بمكانته الأدبية الرفيعة إلى جانب تعاليمه السامية مما ينفرد به شامخاً حافلاً بأسمى مراتب الأدب وهكذا إلى الباب السابع « مواجهة الامتحان الأخلاقى » حيث ينتهى نهاية تذهل العقول وتأسر الألباب وتعقد الألسنة المضادة لدرجة أن علم الحساب قد شهد لحرفية وحى الكتاب ــ ومجمل القول أن هذا البحث الفريد قد فند كل ادعاءات مدارس النقد العصرى التى حاولت التشكيك فى صدق وحى الكتاب المقدس أو عدم اعتباره كلمة الله .

الثمن ١٨٥ قرش